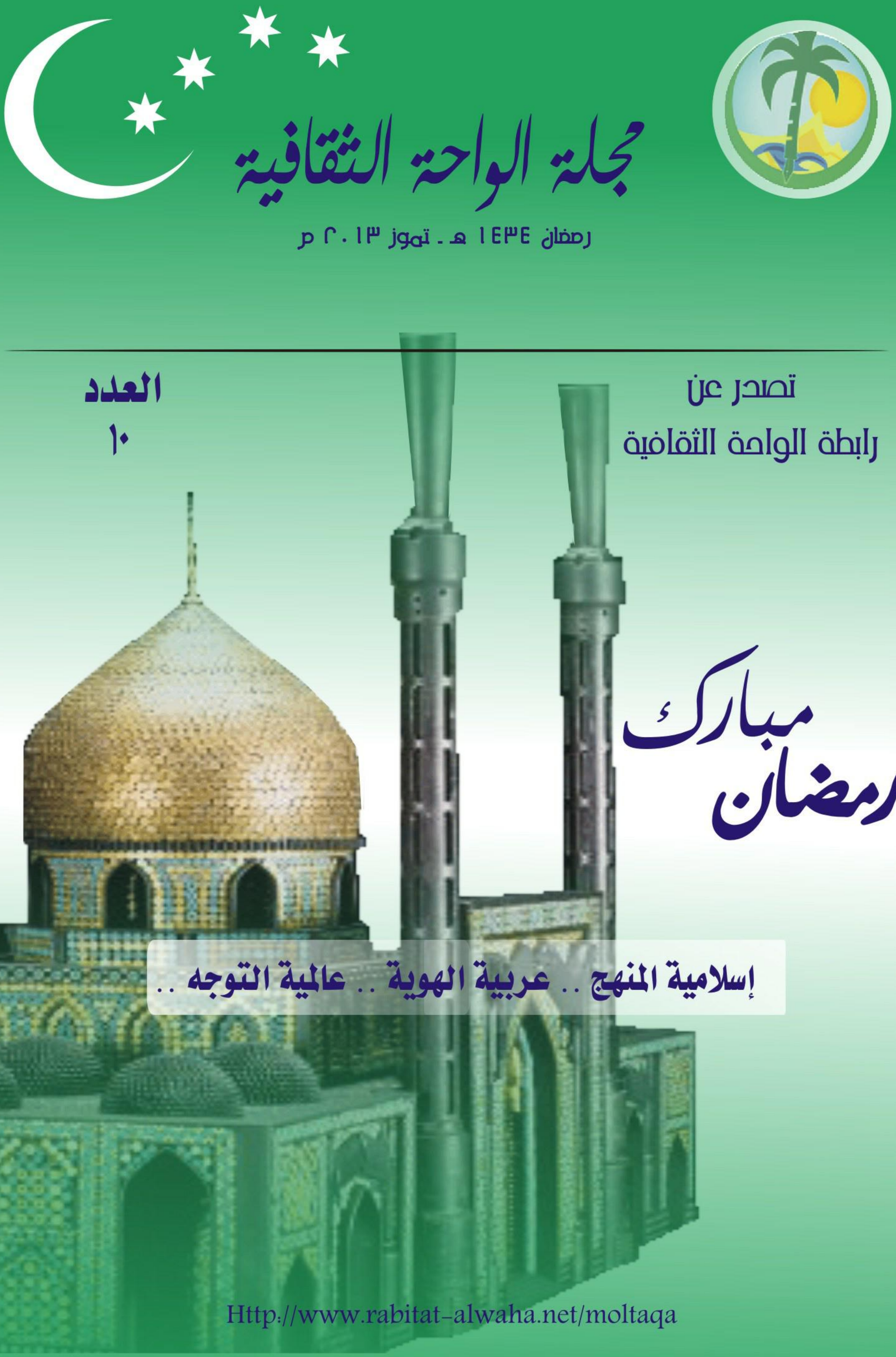

مجلة الواحة الثقافية

رمضان ١٤٣٤ هـ - تموز ٢٠١٣ م

تصدر عن
رابطة الواحة الثقافية

العدد
١٠

رمضان مبارك

إسلامية المنهج .. عربية الهوية .. عالمية التوجه ..

Http://www.rabitat-alwaha.net/moltaqa

مجلة الواحة الثقافية

تصدر عن
رابطة الواحة الثقافية

العدد العاشر

رئيس التحرير
الدكتور سمير العمري

مدير التحرير
الدكتور مازن لبابيدي

التدقيق اللغوي
فاتن دراوشة

تصميم
بهجت الرشيد

Http://www.rabitat-alwaha.net/moltaqa

مجلة الواحة الثقافية رابطة وسجاة ثقافية رسمياً كمنظمة ثقافية عالمية

رمضان ١٤٣٤ هـ - تموز ٢٠١٣ م

فهرست

في هذا العدد

كلمةُ رئيس التّحرير

هل تغيرت المواسم ؟ ـ الدكتور سمير العمري ١

كلمةُ مدير التّحرير

الخيط الأبيض ـ الدكتور مازن لبابيدي ٢

شعـــــر

بك تحيا القلوب وتتجدد الذكريات ـ عبدالملك الخديدي ١٠
فرض محبته ـ الدكتور أحمد رامي ١٥
سلم على الدنيا ـ عيسى جرابا ٢١
عرش اقتناني ـ ماجد الغامدي ٢٨

ثقافة وفكـــــر

رمضان شهر التكافل ـ حاتم ناصر الشرباتي ٣
آيات السجود دراسة بلاغية وفق المنهج الإسلامي ـ محمد عبدالمجيد الصاوي ٦
كيف يُقرأ التاريخ (ج٢) ـ الدكتور محمد موسى الشريف ١١
الأدب الإسلامي ـ د. عبدالفتاح أفكوح ١٤
السلام هل يحارب العنف ـ خليل حلاوجي ١٧
إيماءات اللسان في القرآن ـ د. عبدالقادر مغدير ١٩
القرآن والصيام ـ د. الماسة نور اليقين ٢٢
موت الكتابة في جملة من الاستعارات ـ عبدالواحد الأنصاري ٢٦
فقه اللغة أم علم اللغة ـ الأستاذ محمد الأنطاكي ٣٠

قصـــة ونثر

الوديعة ـ آمال المصري ٨
وادي إيسكا ـ صبري رسول ١٣
تلاشي ـ سعاد محمود الأمين ١٨
يغضبون ـ كاملة بدارنة ٢٤
جاندا ـ د. سمير العمري ٢٩

ومضـــــت

ومضات إسلامية ١٦
أقوال أعجبتني ٢٣
ومضات أدبية ٣٣

كاريكاتور

..... ٣٢

كلمة رئيس التحرير

هل تغيّرتِ المواسمُ ؟

د. سمير العمري

ترتبطُ بعضُ المواسمِ بدلالاتِها في ضميرِ الأمّةِ بالجدِّ والجهدِ ومجاهدةِ النّفسِ والانتصارِ على ميلِها للدّعةِ والخمولِ، وليسَ أدلّ على ذلكَ منْ موسمِ الحجّ وشهرِ الصّيامِ، كميادينَ زمانيّةٍ للعملِ ولارتقاءِ درجاتٍ على سلّمِ الفضلِ يرتفعُ العاملون منْ بعضِها لبعضٍ، مُشيحينَ عنِ استعراضاتِ الأدعياءِ ومسارحِ العرضِ، وقدِ ارتبطتْ هذه المواسمُ بانتصاراتٍ للأمّةِ سجّلها المجدُ على هامتِهِ إجلالًا، يومَ كانتِ الضّمائرُ حيّةً نقيّةً، والقلوبُ عفيفةً تقيّةً، وكانتِ النّفوسُ كبارًا وأهلًا للمهامِّ الكبيرةِ المنوطةِ بها، والأحلامُ حرّةً من عبوديّةِ الذاتِ ونزواتِها والأجسادِ ورغباتِها، لا يلوّنُها رياءٌ ولا تجتهدُ في مراءٍ، فمضتْ بالأمّةِ لانتصاراتٍ نتغنّى بها كلّما أرهقَ الأرواحَ ما آلَ إليهِ الحالُ من ذلّةٍ وهونٍ، ونستذكرُها معَ انفراطِ عقدِ هزائمَ متتاليةٍ بالكادِ نعدّ حبّاتِها المتساقطةُ على صفحاتِ واقعِنا، تنادينا للإفاقةِ من غيبوبةٍ حضاريّةٍ طالتْ، حتّى أمسكَ مفاتيحَ ثقافةِ ووعيِ الأمّةِ وأدواتِ نهضتِها منْ لمْ ينتمِ يومًا لهُا، فسارَ بها في متواليةٍ تنازليّةٍ نحوَ الحضيضِ حيثُ الإنسانُ المستعبدُ لكلّ ما عدَا اللهّ، الوجلُ المتوجّسُ منْ كلّ قادمٍ والمغيّبُ عنهُ أنّها بالهمّةِ والعزمِ تنهضُ الأممُ ويعلو شأنُها، بهمّةِ أفرادٍ شيمَتُهم الرّفعةُ وديدنُهم العملُ يلتقي جهدُهم ليكونُ حالةً جماعيّةً مبهرةً تخلقُ واقعًا مدهشًا لأهلِهِ وزمانِهِ.

وإذا كانُ النّسقُ الطبيعيُّ للأمورِ والحالِ هذهِ أنْ ينهضَ للأمّةِ منْ ينتفضونُ لحالِها من أهلِ الهمّةِ والذمّةِ، فيعقدونُ العزمَ على هبّةِ الفعلِ بصحوةِ العقلِ، طامعينَ بصحبةٍ من كرامٍ أولي فضلٍ، يتعاضدونُ يدًا وقلبًا ليهونُ الحملُ وترتفعَ رايةُ بعثٍ يحملُ منَ السّلفِ شمائلُهُ، ويملكُ منَ الواقعِ وعيَه وفضائلُهُ، يحدوهُ علمٌ وفهمٌ، بهما قُرأَ التّاريخَ بعظيمِ تركتِهِ والحاضرَ بعواملِ غفلتِهِ واستقراءُ الغدَ بدلالةِ علاماتِهِ، فاختارَ السّيرَ على دربٍ سارَ عليها مِن قبلُ مَنْ نقلوا الأمّةُ بهديِ النبيِّ الأميِّ منْ عبوديّةٍ للرّومِ والفرسِ إلى سيادتِهم وبسطِ سلطانِها على دولتِهم، فإنّ الواقعَ يعاندُ بالتّجربةِ الطبيعيّةِ، حيثُ مُنحنى الهمّةِ لدى الكثيرينَ مباغتٌ بتوالي انحدارِهِ مخيّبٌ للآمالِ بخفوتِ جذوتِهِ وخادعِ أوارِهِ، وما هو إلّا أنْ تنطلقَ في همٍّ أو في همّةٍ حتّى يفجعك انفضاضُ الصّحبِ من حولِكَ واحدًا فواحدًا، كلٌّ بذريعةٍ تزيدُكَ خيبةً وحسرةً، فإذا البعثُ بضعةُ رجالٍ لا شكَّ أنّ كلًّا منهم بألفِ رجلٍ أو يزيد، لكنّك تشفقُ عليهِم إذْ يزيدُ الحملُ ثقلًا، وينقلبُ منِ انسحبَ مناوئًا مخذّلًا، وتتكالبُ على تمزيقِ توحّدِهم على غايتِهم قوًى كلّها بها متضرّرٌ، ويعتريكَ القلقُ عليهِم والخوفُ منْ تسرّبِ ما أصابَ الأمّةُ من خوارٍ لقلوبِهم بتأثيرِ الخيبةِ وتحتِ معاولِ التّخذيلِ فلا تجدُ إلّا تذكيرًا يلومُكَ لهُ أيسرهم على الخصومِ تكديرًا وتغييرًا.

وتقفُ تتأمّل بوجعِ العجزِ حالةُ الأمّةِ السّادرةِ حينًا والسّاردةِ حينًا تتقلّبُ ذاتَ يمينِ الدّعةِ والكسلِ وذاتَ يسارِ المذلّةِ والفشلِ تلتحفُ بثقافةِ التعذّرِ تارةً والتذرّعِ تارةً أخرى؛ حائرًا بينَ آخرِ النّفقِ البعيدِ حيثُ يلمعُ نورُ المجدِ نهضةُ وانطلاقةُ عزائمَ يهبّ أهلُها للحياةِ من أجداثِ مواتٍ اعتراهُم قرونًا، وبينَ أكفِّ جيشِ الباطلِ وأعوانِ الاستعمارِ تقبضُ بأيدٍ منْ حقدٍ وإصرارٍ على مجاديفِ قاربكَ الصّغيرِ تشدّها للقاعِ طمعًا بتعطيلِك أو إغراقِكَ، والغافونُ حولُكَ على حالِهم منتظرونُ، متأهّبونُ لاعتناقِ بيانِ المنتصرِ وركوبِ موجتِهِ وإنْ قادَتْهم لما دونُ قاعِ بحرِ هوانٍ أو بيداءِ ضياعٍ وذهابِ ريحٍ، فكأنّي بالأرضِ تئنُّ اليومَ بحملِها وتضجُّ بساكنيها تتطلّعُ للسّماءِ حائرةً متسائلةً، أليسَ أولئكَ أسلافُ هؤلاءِ؟ وكأنّي بأولئكَ إذ ذاكَ يتمنّونُ لوْ قيضَ لهُم أنْ يتنصّلوا منْ كلِّ رابطةٍ تجعلُ منَ الخاملينَ الخانعينَ لهُم فروعًا.

فهل تغيّرت المواسمُ أمْ تغيّرتِ النّفوسُ؟

الخيطُ الأبيضُ

د. مازن لبابيدي

ليلٌ طويلٌ عاشتهُ أُمّتُنا أُطبقَ عَليها ظلامًا دامسًا إلا مِنْ زخارفَ برّاقةٍ لوّحَ بها سَحَرةٌ لِئامٌ فُتوهّمَ الكثيرُ من أبنائها أنها نورٌ يُهتدَى به فتَبِعوها ذاهلينَ عن حقيقةِ ما يُرادُ بأمّتهم مِن قُتلٍ وتدميرٍ ومَحْوٍ. ولولا فئةٌ مُخلِصةٌ أرادَها اللهُ وأيّدها وأظهرها لإقامةِ حُجّتِهِ وتحقيقِ وَعدِهِ لكانت الآن أثرًا بعدَ عينٍ وهباءً مَنثورًا وتاريخًا يَتباهى أعداؤها بأنّهم كُتبوا صَفحاتِهِ الأخيرةُ.

نَعَمْ كان ليلًا طويلًا انتشرَ فيهِ الفسادُ وتميّعتْ فيه القِيَمُ وتراجعتْ الأخلاقُ إلى زوايا ضيّقةٍ وتفرّقتْ بين أفرادٍ وجماعاتٍ صغيرةٍ بعد أنْ كانت صِبغةُ المُجتمَعِ المُسلمِ وسِمَتَهُ البارزةُ وأهمَّ مُقوّماته بعدَ الإيمانِ والعقيدةِ الذّين لا يَكمُلانِ إلّا بها، وضاعتِ الحقوقُ وانتشرَ الظّلمُ والجهلُ والفقرُ، وغرقَ الأغنياءُ في الشّهواتِ حتّى أُخِموا، ولمْ يَسْلمِ الفقراءُ مِنها. كثيرون هَجَروا القرآنُ إنْ لمْ يَكُن بالقراءة فبالتَدبُّرِ والعملِ فضلًا عن هجرِهم سنّةُ النبيِّ صلّى اللهُ عليه وسلّم وعلومَ الدّينِ، حتّى اللّغةُ العربيّةُ وعلومُها وآدابُها ما انفكت تتراخى قبضتُها على ثُقافةِ الأفرادِ والجُماعاتِ والدُّولِ وتتركُ مواقعَها لثقافاتٍ دخيلةٍ ولغاتٍ أخرى يَتباهى القومُ وهم يَرطنونُ بِها، كيفَ لا وهِي تَملأُ فراغًا في عُقولِهم وقُلوبِهم وتُكمِّلُ نَقْصًا في نُفوسِهِمْ وشخصيّاتِهم وتُسكِرُهم بإحساسٍ قُبيحٍ مِن مُمَاثُلة أو مُشابَهَةِ السيِّد الأبيضِ الّذي استَعْمَرَ وِجدانَهُم واستحوذَ على تَقديرِهم وإعجابِهم حتّى ذابتْ هُويّاتُهُم في التَبَعيّةِ لَهُ والدورانِ في فُلكِهِ فصَارَ تَقليدُهُ في ظاهِرِ ما يفعلُ غايةً بذاتِهِ وأُمنيةً دُونُ إحرازِها كُلُّ غالٍ ونفيسٍ. ولولا خشيةُ الإطالةِ لقيلُ الكثيرُ عَمّا آلُ إليهِ حالُ أمتِنا في لُيلِهَا الطّويلِ الّذي آذنُ بإذنِ اللّهِ بالانصرام، ويَكفيني وإياكُم الإشارةُ لِما تُشاهدونَه حَولَكُم ولِما تَقرأونُ مِن واقعِ الأُمّة وتاريخِها المُعاصِرِ وما تَمُرّ به من أحداثٍ مُتسارِعَة.

ولُكِنَّ الأملُ باللّهِ كبيرٌ والتفاؤلُ لا يُغادِرُ القُلوبَ المُؤمِنةُ بِعَودَةٍ قُريبةٍ إلى جادَّةِ الحُقِّ، وقد تَجاوزْنا بحمد اللّهِ الإرهاصاتِ إلى بوادرِ الصَّحْوةِ مِنَ الغَفوَةِ والنُّهوضِ مِنَ الكَبوَةِ بلْ لعلّ الأمَّةُ قُطِعَتْ شَوطًا غُيرَ قليلٍ في هَذا الدّرب، وقد آن الأوانُ لِشَدِّ الإزارِ وكَبْحِ الشّهواتِ والعُكوفِ على كِتابِ اللّهِ وسُنّة نَبيِّهِ والاستعدادِ بَعدَ هذا اللّيلِ الطّويلِ لبَدءِ الصّومِ، صَومِ الأُمّةِ عَنْ مَحارِمِ اللّهِ والشّهواتِ والذُّلِّ والتَّبَعِيةِ والهُوَانِ والتَقاعُسِ، فَقَدْ تَبَيَّنَ الخَيْطُ الأبْيضُ مِنَ الخَيْطِ الأسْوَدِ مِنَ الفَجْر.

رمضانُ شهرُ التّكافلِ

حاتم ناصر الشرباتي

شهرُ رمضانَ لهُ ميزةٌ خاصّة عندَ المسلمينَ، لأنّ أبرزَ الفرائض فيهِ الصّومُ ، والصّومُ عبادةٌ منَ العباداتِ الّتي فرضَها اللهُ على عبادِهِ بميزةٍ خاصّةٍ ... لذلكَ كانَ قولُهُ سبحانه و تعالى في حديثِهِ القدسيّ " كلّ عمل بن آدمَ لهُ إلّا الصومُ فهو لي و أنا أجزي به" ، و كان قولُ الرّسول الكريمِ "لخلوف فمِ الصّائمِ أطيبُ عندَ اللهِ من ريحِ المسكِ" فكانَ لشهرِ رمضانَ الكريمِ منزلةٌ خاصّةٌ بينَ الشّهورِ عندَ اللهِ سبحانَهُ و تعالى بنزولِ الوحي بالقرآن على نبيّ اللهِ محمّد صلّى اللهُ عليهِ و سلّم فيقول اللهُ تعالى في كتابهِ الكريمِ " {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }البقرة١٨٥ " ولأنّ اللهَ فضّلَ هذا الشّهرَ الكريمَ و فرضَ فيهِ عبادةَ الصّومِ على أمّةِ محمّد صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ فلقدْ حبّبَ خلقه فيهِ فترى المسلمينَ في هذا الشّهرِ جميعهم على قلبِ رجلٍ واحدٍ وحتّى أولئكَ الّذين يقصّرون في بعضِ العباداتِ تجدهم في هذا الشّهرِ الكريمِ حريصين على فريضةِ الصّومِ وعلى التقرّبِ إلى اللهِ سبحانَه وتعالى .... والمعلومُ أنّ اللهَ سبحانَه وتعالى حينَ فرضَ الفروضَ على عبادِهِ لمْ يفرضْها بعلّة فالعباداتُ لا تعلّل، والحقيقةُ الّتي لا تُمارى أنّ جميعَ الفروض قدْ فرضَها اللهُ تعالى بحكمةٍ أرادَها قد ندركُها وقد لا ندركُها، فكانَ من حكمِ فرضِ الصّومِ أنْ يدرّبَ اللهُ عبادَهُ على طاعتِهِ والامتثالِ لأوامرِهِ فتكثر الصّدقاتُ، لذا ترى النّاسَ وهم يتسابقونَ في فعلِ الخيراتِ من فرائضَ ومندوباتٍ في ذلك الشّهرِ الكريمِ وترى النّاسَ وقدْ رقت قلوبُهم وأصبحوا أكثرَ تكافلًا ومودّةً ورحمةً. وفي الصّومِ تهذيبٌ للنّفسِ وإخمادٌ للشّهواتِ فيقول الرّسولُ صلّى اللهُ عليه وسلّم في حديثِهِ الصّحيح "يا معشرَ الشّبابِ من استطاعَ منكمُ الباءةَ فليتزوّجْ ومنْ لمْ يستطعْ فعليهِ بالصّومِ فإنّه وجاءٌ".

ويمتازُ شهرُ رمضانَ، أنّه شهرُ المواساةِ والتّراحمِ والتّكافلِ بينَ المسلمينَ، حيثُ حثّ الإسلامُ على الصّدقةِ في هذا الشّهرِ توثيقًا لرابطةِ المسلمينَ بعضُهم معَ بعضٍ، وسدًّا لحاجةِ الفقراءِ والمساكينَ. فعن زيدِ بن خالد الجهنيّ قال: قالَ رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلّم: "منْ فطّر صائمًا كانَ لهُ مثلُ أجره غيرَ أنّه لا ينقصُ من أجرِ الصّائمِ شيئًا" (أخرجه الترمذيّ في سننِه وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ). فقولُه صلّى اللهُ عليه وسلّم "منْ فطّر صائمًا" أي أطعمَهُ وسقاهُ عندَ إفطارِهِ دعوةٌ إلى التّرابطِ والتّكافلِ والمواساةِ. فالتّرابطُ يظهرُ من خلالِ زيارةِ الأهلِ والأصحابِ وما تنتجُه الزيارةُ من ودٍّ ومحبّةٍ وتمتينٍ لأواصرِ الرّحمِ والصّحبةِ. وأمّا التكافلُ والمواساةُ فيظهران في العطفِ على الفقراءِ بإطعامِهم وما يمثّله ذلكَ من مساعدةٍ لهم على أداءِ الفريضةِ وإشعارهم بالأخوّةِ في الدّين وأنّهم جزءٌ منَ المجتمع غير منسيّ. والحقيقةُ، أنّ الغرضَ الأسمى من وراءِ قولِ النبيِّ صلّى اللهُ عليهِ وسلّم: "من فطّر صائمًا كان له مثلُ أجرِهِ"، هو حثّ الناسِ على إطعامِ الفقراءِ خاصّةً، وإن دخل في عمومِ الطّلبِ إفطارُ الصّائمِ مطلقًا ولو كان غنيًّا. ذلك أنّ الفقراءَ في رمضانَ أحوجُ من غيرهم إلى لقمةٍ تسدُّ رمقهم وتقوّيهم على عبادةِ الصّيامِ والقيامِ. فليسَ المقصودُ من الحديثِ، كما فهمَ بعضُ النّاس، أن نفطّرَ الغنيّ، أو نتّخذ من رمضانَ مناسبةً نظهرُ فيها الكرمَ والجودَ على الأهلِ والأصحابِ وإن كانوا منَ الأغنياءِ، ونترك الفقيرَ الجائعَ الّذي لا يجدُ ما يأكله، فإنّ هذا لا يجوزُ.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قالَ: قال رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلّم : "ما آمنَ بي من باتَ شبعانًا وجارُهُ جائعٌ إلى جنبهِ وهو يعلمُ بهِ" (الطبرانيّ في الكبير). وفي الحديثِ الشّريفِ :(كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلّم أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ صلّى اللهُ عليه وسلّم أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ) رواه البخاريّ.

وقال رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلّم: (إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ) رواه البخاريّ ومسلم

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ صلّى اللهُ عليه وسلّم: إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ، وَذَلِكَ كُلُّ لَيْلَةٍ]

وعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلّى اللهُ عليه وسلّم قالَ: فِي الْجَنَّةِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ، فِيهَا بَابٌ يُسَمَّى

الرَّيَّانَ، لاَ يَدْخُلُهُ إلاَّ الصَّائِمُونَ] رواه البخاري وهناك أحاديثٌ ثلاثةٌ متّفقٌ على صحّتها فقد رواها البخاريّ ومسلم في صحيحَيْهما ..

(فعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلّم: مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ).

وعنه أيضًا [أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلّم قالَ مَنْ قامَ رَمَضَانَ إيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ].

وأخيرًا [عنه أيضًا قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ صلّى اللهُ عليه وسلّم: مَنْ يَقُمْ لَيْلَةَ القَدْرِ إيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ].

ويقول عليهِ الصّلاةُ والسّلامُ يقولُ اللهُ عزّ وجلّ: (كلّ عملِ بنِ آدمَ لهُ الحسنةُ بعشرِ أمثالِها إلى سبعمائةِ ضعفٍ إلّا الصّيام فإنّه لي وأنا أجزي به تركَ شهوتَه وطعامَه وشرابَه من أجلي للصّائمِ فرحتانِ فرحةٌ عندَ فطره وفرحةٌ عندَ لقاءِ ربّهِ ولخلوفُ فمِ الصّائمِ أطيبُ عندَ اللهِ منْ ريحِ المسكِ .. الصّيامُ جنّةٌ فإذا كانَ صومُ يومِ أحدِكم فلا يرفثْ ولا يصخبْ فإنْ سابّه أحدٌ أو قاتلَه فليقلْ إنّي صائمٌ ..)

عن أبي أيّوب رضي اللهُ عنه أنّ رسولَ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلّم قالَ: [من صامَ رمضانَ ثمّ أتبعهُ ستًّا من شوّالَ كانَ كصيامِ الدّهر] رواه مسلم

وروى أحمد النسائيّ عن ثوبان مرفوعًا: [صيامُ شهرِ رمضانَ بعشرةِ أشهرٍ وصيامُ ستّةِ أيّامٍ بشهرين فذلكَ صيامُ السّنةِ]

وعن أبي هريرةَ رضي اللهُ عنهُ مرفوعًا : [من صامَ رمضانَ وأتبعهُ بستّ من شوّالَ فكأنّما صامَ الدّهرَ] رواه البزار وغيره.

وروى الطبرانيّ عن ابنِ عمرَ رضي اللهُ عنهُما قالَ: قال رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلّم: [من صامَ رمضانَ وأتبعَه ستًّا من شوّالَ خرجَ من ذنوبه كيومِ ولدته أمّه]. فندعوه تعالى أنْ يتقبّلَ منّا الصّيامَ والقيامَ والطّاعاتِ في الشّهرِ الفاضلِ وأنْ يمنَّ علينا فيه بقيامِ دولةِ الخلافةِ الرّاشدةِ التي تعيدُ لهذا الشّهرَ نورَه وبهاءَه وتظهرُ التّكافلَ الحقيقيّ فيهِ، اللهمّ آمين.

مقاصدُ الصّوم

قالوا في مقاصدِ الصّومِ التماسًا لعللٍ ما أنزلَ اللهُ بها من سلطانٍ، إلّا البند الأوّل الّذي يصبّ في خانةِ التّقوى أي (تحقيقُ قيمةٍ روحيّةٍ):

١ـ تحقيقُ التّقوى بعبوديّةِ اللهِ ـ عزَّ وجلّ ـ: ٢ـ تزكيةُ النّفس: ٣ـ تذكّرُ المحرومينَ ومواساتُهم: ٤ـ حفظُ الصّحّةِ: ٥ـ تقويةُ الإرادةِ وتحقيقُ الصّبر: ٦ـ التّدريبُ على الدقّةِ والنّظامِ واحترامِ المواعيدِ: ٧ـ تجديدُ الطّاقةِ، وتوجيهُ الهمّةِ نحوَ العمل:

والصّحيحُ المعتبرُ شرعًا أنّ الأنظمة الاسلاميّة هيَ أحكامٌ شرعيّةٌ تتعلّقُ بالعباداتِ والأخلاق والمطعوماتِ والملبوساتِ والمعاملاتِ والعقوباتِ. فالأحكامُ الشّرعيّةُ المتعلّقةُ بالعباداتِ والأخلاق والمطعوماتِ والملبوساتِ لا تعلّل. قال صلّى اللهُ عليه وسلّم : (حُرّمتِ الخمرةُ لعينِها)، وأمّا الأحكامُ الشرعيّةُ المتعلّقةُ بالمعاملاتِ والعقوباتِ فإنّها تعلّل، لأنّ الحكمَ الشرعيّ فيها بُنيَ على علّةٍ كانت سببًا لوجودِ الحكم، وقد اعتاد قومٌ كثيرون أنْ يعلّلوا جميعَ الأحكامِ بالنفعيّةِ، متأثرين بالقيادةِ الفكريّةِ الغربيّةِ والحضارةِ الغربيّةِ الّتي تجعلُ النّفعيةَ البحتةَ أساسًا لكلّ الأعمال، وتجعلُ مزجَها معَ المادّةِ الضابطَ للأعمال، وعلى هذا فإنّ الأحكامَ الشرعيّةَ المتعلّقةَ بالعباداتِ والأخلاق والمطعوماتِ والملبوساتِ لا تعلّل، لأنّ لا علّةَ لهذهِ الأحكام، وإنّما تؤخذُ كما وردتْ بالنصّ، ولا تبنى على علّةٍ مطلقًا، فالصّلاةُ والصّيامُ والحجّ والزّكاةُ وكيفيّةُ الصّلاةِ وعدد ركعاتِها ومشاعرُ الحجّ وأنصبةُ الزّكاةِ وما شاكل تؤخذُ توقيفًا كما وردتْ، وتتلقّى بالقبول والتّسليمِ بغضِّ النّظرِ عن علّتِها، بل لا نلتمسُ لها علّةً، وكذلك تحريم الميتةِ ولحمَ الخنزيرِ وغيرِ ذلكَ لا نلتمسُ له علّةً أبدًا، بل من الخطأ والخطرِ أن نلتمسَ علّةً له، لأنّه لو التمستَ علّةً لأحكامِ تلك الأشياءِ لترتّبَ على ذلك أنّه لو زالتِ العلّةُ زال الحكمُ، لأنّ العلّةَ تدورُ معَ المعلولِ وجودًا وعدمًا. فلو فرضنا أنّ علّةَ الوضوءِ النّظافةُ، وعلّةَ الصّلاةِ الرّياضةُ، وعلّةَ الصّومِ الصحّةُ، ..... وهكذا: لترتّبَ على ذلك أنّه في حالِ عدمِ وجودِ العلّةِ لا يوجد الحكمُ، مع أنّ الأمرَ ليسَ كذلكَ. ولهذا كانَ التِماسُ العلّةِ خطرًا على الحكمِ وعلى القيامِ به، فوجب أن تؤخذ أحكامُ العباداتِ كما هي دون التماسِ العلّةِ لها.

وأمّا الحكمةُ فإنّ اللهَ وحدَه الّذي يعلّمها، وعقلُنا لا يمكنُه إدراكَ حقيقةِ ذاتِ اللهِ، فلا يدركُ حكمَتَه. أمّا ما وردت به النّصوصُ من حكمٍ كقولِهِ تعالى (إنّ الصّلاةَ تنهى عن الفحشاءِ والمنكر) وكقولِهِ (ليشهَدوا منافعَ لهُم) وغيرَ ذلكَ من حكمٍ نصّتْ عليها النّصوصُ ، فإنّه يقتصرُ فيها على النصّ وتؤخذُ منهُ ولا يقاسُ عليه، وما لمْ يردْ بحكمتِهِ نصّ لا نلتمسُ له حكمة، كما لا نلتمس له علة.

ومن هنا يتبيّن أنّ المقصودَ من العباداتِ تحقيقُ القيمةِ الروحيّةِ ليسَ إلّا، ويجب أن يقتصرَ بها على هذه القيمةِ المقصودةِ منها دونَ غيرها، ولا يجوزُ بيان ما في العباداتِ من فوائدَ ومنافعَ، لأنّ هذا البيان خطر عليها يسبّبُ النّفاقَ في المتعبّدينَ ويجرّ لتركِ العباداتِ حين لا تظهرُ فوائدُها ولا تبرزُ منافعُها.

فمقاصدُ الصّيامِ هوَ تحقيقُ القيمةِ الرّوحيّةِ فقط امتثالًا لأمرِ اللهِ. واللهُ أعلمُ

الوديعة

الأديبة آمال المصريّ

سَكَنَتْهُ آلامُ الوحـ ـدةِ والحِرْمَانِ .... صَفَعَتْهُ طَعَنَاتُ النَظَرِ إلى شِفَاهٍ تَمتعضُ شَفَقَةً عَلَيْهِ , تُلاحِقُهُ أَيْنَمَا وُجِدَ ...عَوَى الذِئَابُ فِي صَحـ ـ ـرَاءِ حَيَاتِهِ حَتَّى بَاتَتْ مُوحِشَةً جَرْدَاءَ .. اِسْتَوْطَنَتْهُ مَرَارَةُ السِّنِينَ العِجَافِ مُبَعْثَرَةً دَمْعَاتُهُ تَتَوَسَّلُ الْمُسْتَحِيلَ. قَرَعَ أَبْوَابَ الْسَّمَاءِ دَاعِيًا .. رَاجِيًا .. مُتَمَنِّيًا .. عَسَى اللهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ الْدُّعَاءَ, مَرَّغَ وَجْهَهُ فِي سـ ـ ـجُودِه بِظُلُمَاتِ اللَّيْلِ ... إمْتَلأَتْ نَفْسُهُ بِجَوعِ الْحَنِينِ لِلأُبُوَةِ .. غَنَّتْ دُمُوعُهُ بِحَسْرَةِ الْرُؤَى كُلَّمَا حَمَلَ صَغِيـ ـرًا, تَسَاءَلَ كَثِيـ ـرًا حَيْثُ الأمَل مُخْتَنِق: هَلْ لِي أَنْ أَتَزَوَّجَ بِأُخْرَى؟ هَلْ سَيَأْتِي يَوْمٌ تَرْتَسِمُ عَلَى وَجْهِي بَسْمَةٌ صَافِيَةٌ؟ وهَلْ مِنْ بزُوغِ فَجْرٍ سَعِيدٍ؟! رَمَى بِروحِهِ عَلَى قَارِعَةِ الْبَحْثِ بِأُخْرَى ... وسَانَدَتْهُ لَيَالِي الْبُؤْسِ الَّتِي شَتَّتَتْ وِحْدَتَهُ الَّتِي اعْتَصَرَهَا الْحِرْمَانُ يَسْتَجْدِي كُلّ منْ حَوْلِهِ يَهُزُّهُ الْشَوْقُ حَنِينًا .. تَتَرَاقَصُ لَهُ الْدُّنْيَا فَرَحًا ... لِيَلْتَقِطَ مَا بَقِيَ مِنْ أَنْفَاسِ الْحَيَاةِ, يَنْبُتُ بُرْعُمٌ يَسْقِيهِ بِفَيْضِ عَيْنَيْهِ لِتُصْبِحَ نَبْتَةً تَعْبَقُ بـ ـأَجْوَاءِ روحِهِ ... زَهْرَة جَمِيـ ـلَة أَنْسَتْه تِلْكَ الْذِكْرَيَاتِ الْمَتْكُولَةَ, فَلَفِظَ كُلَّ تَرَاكُمَاتِ الْمَاضِي وَعَاشَ الأُبُوَّةَ بِكِلِّ مَعَانِيـ ـهَا, كَانَ يَجْثُو تَحْتَ قَدَمَيْهَا, يَسْتَنْشِقُ أَنْفَاسَهَا لِتَمْتَلِئَ نَفْسُهُ سَعَادَةً وَرِضًا.

خَمْسَةَ عَشـ ـرَ عَامًا ... تَجَرّعَتْ فِيهَا الْزَوْجَةُ الأُولَى مَرَارَةَ الْحِرْمَانِ حَتَّى قَرَّحَ الْدَمْعُ مَآقِيهَا, وألْهَبَتْ سِيَاطُهُ مُتُونَ صَبْرِهَا, تَنْتَظِرُ أَنْ يَنْبِضَ قَلْبـ ـ ـهَا الَّذِي أَهْلَكَهُ الانْتِظَارُ, حَيْثُ تَرَاكَمَتْ الأَحْزَانُ تَصْرُخُ بِمَرَارَةٍ تُنَغِّصُ أَيّامَهَا ... تُطَارِدُهَا أُمْنِيَاتٌ تَتَمَخَّضُ بِوَجَعِ الْشَوْقِ لِلأمُومَةِ .. تُبَعْثِرُهَا الأَنَّاتُ وتَعُودُ تُلَمْلِمُهَا مَرَّةً أُخْرَى, يَالَهَا مِنْ أَحْلاَمٍ لا تَتْعَبُ ولا تَتَأَوَّهُ ..

وإِذَا بِشَيْءٍ يُوحِي بِالْحَيَاةِ .! يَمْتَزِجُ الْحلْمُ بِالْخَيَالِ ... يَتَجَسَّدُ .. يَرْوِي عَطَشَ الْسِّنِينَ؛ لِيُسْعِفَهَا الْقَدَرُ ويَمُنُّ اللهُ عَلَيْهَا بِيَاسَمِينَةٍ نَدِيَّةٍ تَسْتَمِدُّ نُورَ الْوُجُودِ مِنْ نَبَضَاتِهَا ويَجْعَلُ دَوْحَتَهَا غَنَّاءَ نَضِرَةً. تَبَاشِيـ ـرُ مِيلادٍ لـ ـلْثّانِيَةِ تَمْلأُ الْدُّنْيَا بِبَسْمَةِ قدُومِ بُرْعُمٍ أَخْضَرَ غَذَّتْهُ قَطَرَاتُ الأَمَلِ (فَارِس)

تَمُرُّ الأَيَّامُ .. تَلِيهَا الْشُهُورُ , وتَمْلأُ أَرْكَانَ قَلْبِهِ تَغَارِيدُ كَلِمَةٍ لَطَالَمَا حَلَمَ بِهَا لسَنَوَاتٍ طوالٍ (بابا ...)

كَانَ يَحْمِلُه ... يُهَدْهِدُه ... يَضْحَكُ لِضَحـ ـ ـكَاتِهِ ... يَجْزَعُ لِبُكَائِهِ ... كَانَ لَهُ تَاجُ الْحَيَاةِ. ويَأْتِي الْعِيـ ـ ـدُ يَلْبِسُ حُلَّةَ الْفَرَحِ الَّتِي اكْتَمَلَتْ بِهَمْسَةٍ فِي مَسْمَعِ الْفَجْرِ (لَبَّيْك)

الْكُلّ يَتَبَادَلُ الْتَّبَارِيـ ـ ـك والْتَهَانِي .... فِي سُرُورٍ وفَرَحٍ, تُذْبَحُ الأَضَاحِي ..

تَنُوحُ الْدُّنْيَا وهِيَ تَغْتَصِبُ الْفَرْحَةَ, وقَدْ أَيْنَعَ الْعِيـ ـ ـدُ حُزْنًا, لِيَحْتَضِنَ فـ ـي حَنَانٍ ... والْدُّمُوعُ تَمْلأُ عَيْنَيْهِ . وهُوَ يَحْمِلُ بَيْنَ ذِرَاعَيْهِ مَا عَاشَ يَتَمَنَّاهُ سَنَوَات عُمْرِهِ فِي غُمُوضِ الأَقْدَارِ, يَسْتَرِدُّ اللـ ـهُ وَدِيعَتَهُ .. ! لِيَجِدَ نَفْسَهُ بَيْنَ جُدْرَانِ الْحِرْمَانِ مَرَّةً أُخْرَى.

آياتُ السّجودِ

دراسةٌ بلاغيّةٌ وفقَ المنهجِ الأسلوبيِّ.

الباحث : محمد عبد المجيد الصاوي

قدّمَ هذا البحثُ ضمنَ متطلّباتِ مساق الأسلوبِ والأسلوبيّةِ في برنامج ماجستير اللّغةِ العربيّةِ، كليّة الآدابِ، في الجامعةِ الإسلاميّةِ بغزّة. آيار - ٢٠١٣ .

وسنقدّمهُ لروّادِ واحتِنا على مدارِ حلقاتٍ ثلاث، كلّ حلقةٍ تشملُ دراسةَ لخمس آياتٍ.

الحلقةُ الأولى: آياتُ السّجودِ في سور: الأعرافِ، الرّعدِ، النّحل، الإسراءِ، مريمَ.

الآيةُ الأولى: " إنّ الّذين عندَ ربِّكَ لا يستكبرونَ عنْ عبادَتِهِ ويسبّحونَهُ ولهُ يسجدونَ" الأعراف / ٢٠٦ .

المفرداتُ: عندَ ربِّكَ: المرادُ بهم الملائكةُ.

يستكبرونَ: يتكبّرونَ.

الأسلوبُ: جاءَ خبرًا طلبيًّا، حملتْ الحثَّ للمؤمنينَ والتّعريضَ من خلالِ بيانِ حالِ الملائكةِ.

نجدُ المفسِّرينَ قدْ أجمَعوا على تفسيرِ الآيةِ.

فالزّمخشريّ يرى فيها: (١)

"إنّ الّذِينَ عِنْدَ رَبّكَ هم الملائكةُ صلواتُ اللهِ عليهم. ومعنى عِنْدَ دنوّ الزّلفةِ، والقربُ من رحمةِ اللهِ تعالى وفضلِهِ، لتوفّرهم على طاعتِهِ وابتغاءِ مرضاتِه وَلَهُ يَسْجُدُونَ ويختصّونَهُ بالعبادةِ لا يشركونَ بهِ غيرَه، وهوَ تعريضٌ بمن سواهم من المكلّفينَ".

ويؤكّدُ ذلكَ الثعلبيُّ: (٢)

" عِنْدَ، إنّما يريدُ به المنزلةَ، والتشريفَ، والقُرْبَ في المكانةِ، لا في المكانِ، فهُمْ بذلكَ عندَه، ثمَّ وصفَ سبحانه حالَهُمْ مِنْ تواضعِهم، وإدمانِهم العبادةَ، والتّسبيحَ والسّجودَ "

وذهبَ في معنى العنديّة كذلك أبو حيّان في البحرِ المحيطِ (٣)

وكذلك ابن عطيّة ذهبَ مذهبَهم في معنى العنديّة (٤)

كما نجدُ أبا حيّانَ قد بيّنَ لفتةً بلاغيّةً في التّقديمِ والتّأخير (٥)

وَتَقْدِيمُ الْمَجْرُور يُؤْذِنُ بِالِاخْتِصَاصِ أَيْ لَا يَسْجُدُونَ إِلَّا لَهُ وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّهُ إِنَّمَا قَدَّمَ الْمَجْرُورَ لِيَقَعَ الْفِعْلُ فَاصِلَةً فَأَخَّرَهُ لِذَلِكَ لِيُنَاسِبَ مَا قَبْلَهُ مِنْ رؤوسِ الْآيِ وَلَمَّا كَانَتِ الْعِبَادَةُ نَاشِئَةً عَنِ انْتِفَاءِ الِاسْتِكْبَارِ وَكَانَتْ عَلَى قِسْمَيْنِ عِبَادَةٍ قَلْبِيَّةٍ وَعِبَادَةٍ جُسْمَانِيَّةٍ ذَكَرَهُمَا، فَالْقَلْبِيَّةُ تَنْزِيهُ اللَّهِ تَعَالَى عَنْ كُلِّ سُوءٍ وَالْجُسْمَانِيَّةُ السُّجُودُ وَهُوَ الْحَالُ الَّتِي يَكُونُ الْعَبْدُ فِيهَا أَقْرَبَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى

ويرى صاحبُ تفسيرِ التّحريرِ والتّنوير (محمّد الطّاهر عاشور - معاصر -)

أنّ العنديّة هنا " عِنْدِيَّةُ تَشْرِيفٍ وَكَرَامَةٍ " (٦)

كما نراهُ يعقّبُ تعقيبًا بلاغيًّا جميلًا حولَ الأسلوبِ الخبريِّ المبدوءِ بإن:

" تَتَنَزّلُ مُنْزِلَةَ الْعِلّةِ لِلْأَمْرِ بِالذِّكْرِ، وَلِذَلِكَ صُدِّرَتْ بِ إنّ الّتِي هِيَ لِمُجَرّدِ الِاهْتِمَامِ بِالْخَبَرِ، لَا لِرَدِّ تَرَدُّدٍ أَوْ إنْكَارٍ، لِأَنّ الْمُخَاطَبَ مُنَزّهٌ عَنْ أَنْ يَتَرَدّدَ فِي خَبَرِ اللّهِ تَعَالَى، فَحَرْفُ التّوْكِيدِ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَقَامِ يُغْنِي غَنَاءَ فَاءِ التّفْرِيعِ، وَيُفِيدُ التّعْلِيلَ كَمَا تَقَدّمَ غَيْرَ مَرّةٍ، وَالْمَعْنَى: الْحَثُّ عَلَى تَكَرّرِ ذِكْرِ اللّهِ فِي مُخْتَلَفِ الْأَحْوَالِ " (٧)

ويؤكّدُ الرّازي:

لفتةً بلاغيّةً في قولِهِ جلَّ وعزَّ: وَلَهُ يَسْجُدُونَ ، يُفِيدُ الْحَصْرَ وَمَعْنَاهُ: أَنَّهُمْ لَا يَسْجُدُونَ لِغَيْرِ اللّه.

ويدلل بسجودِ الملائكةِ لآدمَ بالنّقلِ عنِ الغزاليّ أنّ السّجودَ كانَ منْ ملائكةِ الأرضِ (٨)

ونقولُ أنّ المتعارفَ عليهِ سجودُ الملائكةِ أجمعينَ وهوَ ما حملتهُ الآيةُ الّتي ذكرَ فيها سجودُ الملائكةِ (فسجدَ الملائكةُ كلّهم أجمعونَ) فكلّهم دلّت على سجودِ الملائكةِ جميعَهم، وأجمعون دلّت على سجودِهم في وقتٍ واحدٍ، وأنّ سجودَهم كانَ سجودَ تشريفٍ لا سجودَ تكليفٍ.

ثمّ يدلل الرّازي في إفادةٍ أخرى في الآيةِ: " يُفِيدُ أَنَّهُمْ مَا سَجَدُوا لِغَيْرِ اللّه، فَهَذَا يُفِيدُ الْعُمُومَ. وَقَوْلُهُ: فَسَجَدُوا لِآدَمَ خَاصٌّ، وَالْخَاصُّ مُقَدَّمٌ عَلَى الْعَامِّ " (٩)

ويرَى الباحثُ أنّ الآية قدْ حملتْ من لفتاتٍ وملامحَ بلاغيّةٍ ما يقطعُ بالدّعوةِ إلى التّنزيهِ والتّسبيح سجودًا وركوعًا، فابتداءُ الآيةِ بإنّ المؤكّدة وحدها (الطلبيّة) دونَ الاعتمادِ على مؤكّداتٍ أخرى، يستشفّ منهُ أنّ الدّعوة موجّهةٌ للمؤمنينَ وحملتْ على الطلبِ لبيان الإلزام.

كما نرى في الحصر في تقديمِ الجارِّ والمجرور دورها في سياق الآيةِ وتناسُقِها، وهوَ نوعٌ من الإعجاز البيانيّ تجلّى في الآيةِ.

الآيةُ الثّانية: " وَلِلّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوّ وَالْآصَالِ " الرعد / ١٥ .

معاني المفرداتِ:

من : قُصدَ بهِ عمومُ المخلوقاتِ.

ظلالٌ: جمعُ ظلٍّ.

الغُدُو: جمعُ غداةٍ الآصالُ: جمعُ أصيلٍ.

آراءُ المفسّرينَ في الآيةِ:

نظرَ المفسّرونَ إلى أنّ المرادَ منَ السّجودِ طوعًا، هو سجودُ المؤمن، والمرادُ من السّجودِ كَرهًا هو سجودُ الكافر.

وذهبَ إلى ذلكَ: الزجاج (١٠) ، والكرماني (١١) ، والثعالبي (١٢)

ويرى الثّعالبي في قولِه في سجودِ الظّلال:

" أنّ الكافرَ يسجدُ لغير اللّهِ، وظلّه يسجدُ للّهِ، وقيلَ وظلالُهم أشخاصُهم، وهذا مخالفٌ للتّفسير" (١٣)

ويرى الكرماني

سجودُ تعبّدٍ وانقيادٍ "طوعًا" سجودُ الملائكةِ والمؤمنينَ، "وكرهًا" من أمرَهُ على الإيمان، وقيلَ: الطّواعيةُ والكراهيةُ في سجودِ من في الأرض، وأمّا الملائكة، فهم يسجدون طوْعًا، وقيل: طبعًا، وفيه نظرٌ.

ويرى في قولِه (وظلالهم):

أي ويسجدُ ظلالُهم، جمعُ الظلّ، وهو ما سترهُ الشّيءُ عن شعاعِ الشّمس، يقصُر مرّة ويمدّ أخرى، وقد قيلَ: ظلُّ كلِّ شيءٍ من كلِّ جنسٍ يسجدُ للهِ، وقيلَ: سجودُهُ دلالةٌ على الوحدانيّةِ، فظلُّ الكافر يسجدُ طوْعًا، وهو كارهٌ، وظلُّ المؤمن طوْعًا وهو طائعٌ (١٤)

ويبيّن معنى مَن في الآيةِ: (مَنْ فِي السّمَاوَاتِ وَالْأَرْض)

وفي موضع سورةِ النّحل: (مَا فِي السّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْض)؟

أنّ: في هذهِ السّورةُ تقدّم آية السّجدةِ ذكرَ العلويّات، من البرق والسّحابِ والرّعدِ والصّواعق، ثمّ ذكر الملائكةِ وتسبيحهم، ثمّ ذكر الأصنام والكفّار، فبدأ في آيةِ السّجدةِ بذكر من في السماواتِ لذلكَ، وذكرَ الأرضَ تبعًا، ولم يذكرْ من فيها استخفافًا بالكفّار والأصنامِ، وأمّا في سورةِ الحجِّ ، فقد تقدّمَ ذكرُ ما خلقَ اللهُ على العمومِ فلمْ يكنْ فيهِ ذكرُ الملائكةِ ولا الإنس بالصّريح، فاقتضى للآيةِ ما في السماواتِ وما في الأرض، فختم كلّ آية بما اقتضاهُ أوّل الآيةِ (١٥)

ومن اللّفتاتِ واللّمحاتِ البلاغيّةِ:

نرى محمد الطاهر عاشور يشير إلى مَن الموصولةِ:

وَالْعُمُومُ الْمُسْتَفَادُ مِنْ مَنْ الْمَوْصُولَةِ عُمُومٌ عُرْفِيٌّ يُرَادُ بِهِ الْكَثْرَةُ الْكَاثِرَةُ .

ونراهُ يشيرُ إلى العدول عن الضّمير في قولِهِ تعالى في الآيةِ السّابقةِ: " لَهُ دَعْوَةُ الْحَقّ " إلى التّصريح بلفظِ الجلالةِ: في قولهِ تعالى : " وللهِ يسجدُ ".

أنّ الجملةَ الثانية: وللهِ يسجدُ، قد بيّنت : حَالَ خَيْبَةِ الدّاعِي بالتّصْرِيح عَقِبَ تَبْيِينِهِ بالْكِنَايَةِ . فَبِاخْتِلَافِ الْغَرَضِ وَالْأُسْلُوبِ حسن الْعَطف، وبالمآلِ حَصَلَ تَوْكِيدُ الْجُمْلَةِ الْأُولَى وَتَقْرِيرُهَا .

ثم نراه يعقب بعد ذلك تعقيبا ويربطه بسابقه ، لا نقبله :

وَكَانَتِ الثَّانِيَةُ كَالْفَذْلَكَةِ لِتَفْصِيلِ الْجُمْلَةِ الْأُولَى (١٦) لما تحملُهُ كلمةُ فذلكةٍ من معنى في عصرنا يرادُ بهِ غيرَ المعنى المعجز في القرآن.

ثمّ نجدُ صاحبَ ظلال القرآن ينقلُنا إلى تصويرٍ بلاغيٍّ للآياتِ:

" ولأنّ الجوَّ جوُّ عبادةٍ ودعاءٍ، فإنّ السياقَ يعبّرُ عن الخضوعِ لمشيئةِ اللهِ بالسّجودِ وهو أقصى رمزٍ للعبوديّةِ، ثمّ يضمّ إلى شخوص من في السماواتِ والأرض، ظلالَهم كذلك. ظلالهم بالغدوّ في الصباح، وبالآصالِ عندَ انكسارِ الأشعّةِ وامتدادِ الظّلال. يضمّ هذه الظلالَ إلى الشّخوص في السّجودِ والخضوع والامتثال. وهي في ذاتِها حقيقةٌ، فالظّلالُ تبّع للشخوص. ثمّ تلقي هذه الحقيقةُ ظلّها على المشهدِ، فإذا هو عجبٌ. وإذا السّجودُ مزدوجٌ: شخوصٌ وظلالٌ! وإذا الكونُ كلّه بما فيهِ من شخوصٍ وظلالٍ جاثيةٍ خاضعةٍ عن طريق الإيمان أو غير الإيمان سواءٌ. كلّها تسجدُ للهِ.. وأولئكَ الخائبونَ يدعون آلهةً

من دونِ اللهِ! وفي جوِّ هذا المشـهدِ العجيبِ يتوجّهُ إليهم بالأسـئلةِ التهكميّةِ. فما يجدرُ بالمشـركِ بـاللهِ في مثل هذا الجوِّ إلّا التهكّمَ، وما يستحقّ إلّا السّخريةَ والاستهزاءَ " (١٧)

ونجدُ أبا حيّان يرى بأنّ الخبرَ في الآيةِ:

وَذَلِكَ بِأَنْ يَكُونَ يَسْجُدُ صِيغَتُهُ صِيغَةُ الْخَبَرِ، وَمَدْلُولُهُ أَثَرٌ (١٨)

ونأتي الآنَ لتناولِ الآيةِ تناولًا بلاغيًّا في ضوءِ دراستِنا:

نجدُ الآيةَ بدأتْ كما أشرْنا بلفظِ الجلالةِ وهوَ الاسـمُ الصّريحُ عدولًا عن الضّميرِ لما تحـملُهُ من تنوّعٍ وذلكَ كما يقـتضيهِ النّسقُ القرآنيّ.

وكذلكَ نجدُ التّقديمَ في الآيةِ حملَ معنى خصوص السّجودِ وقصرَه على ربِّ العزّةِ.

كما أنّ الخبرَ جاءَ هنا ابتدائيًّا وخلا من المؤكّدات كون الآيةَ كما يرى أبو حيّان أريدَ بها مدلولُ الأثر.

الآيةُ الثالثةِ:

" وللهِ يسجدُ ما في السماواتِ وما في الأرضِ من دابّةٍ والملائكةُ وهم لا يستكبرونَ " النحل / ٤٩ .

المفرداتُ في الآيةِ:

دابّة : بيان لما في السموات وما في الأرض جميعًا ، ذكره الزمخشريّ، كما سيأتي.

مرّ بنا معنى لا يستكبرونَ: وهو بمعنى لا يتكبّرون .

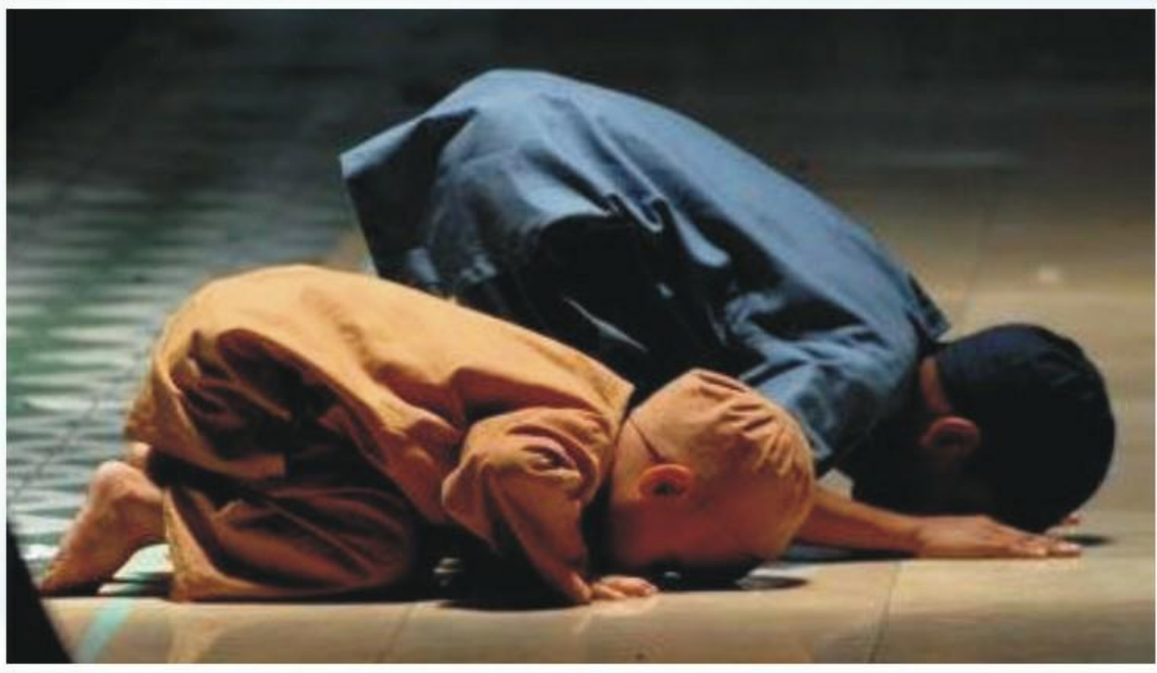

ويذهب الزمخشري إلى أن " ما " عدل بها عن " مَن " للتغليب لدخولِ الملائكةِ والأناسيّ وغيرِ العاقلينَ انقيادًا لإرادةِ اللهِ في السّجودِ (١٩)

ثمّ يربطُ الآيةَ بما بعدها فيقرّر أن يخافونَ يجوزُ بها أن تكونَ للحالِ من الضمير في يستكبرونَ.

ثمّ يشيرُ للفتةٍ بلاغيّةٍ في (لا يستكبرون) فيرى وجهًا بلاغيًّا أن تكونَ: بيانًا لنفي الاستكبارِ وتأكيدًا لهُ، لأنّ من خافَ اللهَ لم يستكبرْ عن عبادتِه مِنْ فَوْقِهِمْ إن علقتَه بيخافونَ (٢٠)

ونجدُ صاحبَ التّحريرِ والتّنويرِ يلفتُ إلى الحصرِ في قولِهِ تعالى وللهِ يسجدُ:

وَتَقْدِيمُ الْمَجْرُورِ عَلَى فِعْلِهِ مُؤْذِنٌ بِالحـــصر، أي ســـجد لِلَّهِ لَا لِغَيْرِهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، وَهُوَ تَعْرِيضٌ بِالْمُشْرِكِينَ إِذْ يَسْجُدُونَ لِلْأَصْنَامِ (٢١)

ويرى ابنُ عطيّة في عطفِ الملائكةِ: ويحتَملُ أنْ يكونَ قولُه: وَالْمَلَائِكَةُ هو الذي يعمّ "السماوات والأرض"، وما قبلَ ذلكَ لا يدخلُ فيه ملكٌ، إنّما هوَ للحيوانِ أجمع (٢٢)

ويرى صاحبُ البحرِ المحيطِ في عطفِ الملائكةِ:

وَهُمْ مُنْدَرِجُونَ فِي عُمُومِ مَا تَشْرِيفًا لَهُمْ وَتَكْرِيمًا، وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِهِمُ الْحَفَظَةُ الَّتِي فِي الْأَرْضِ، وَبِمَا فِي الســـــموات مَلَائِكَتُهُنّ، فَلَمْ يَدْخُلُوا فِي العموم. وذهبَ الشّوكاني مذهبَ أبي حيّان(٢٣):

ويرى الصّابوني في أنّ عطفَ الملائكةِ يقعُ في بابِ: ذكرِ الخاصّ بعدَ العامّ (٢٤)

ونخلصُ إلى أنّ الآيةَ شملتْ من اللّفتاتِ البلاغيّةِ:

ذكرُ الخاصّ بعدَ العامّ، وهوَ هنا جاءَ للبيانِ والتّفصيل.

أنّ التقديمَ جاءَ للحصر.

أنّ مجيءَ ما جاءَ لعمومِ التّغليبِ.

فالآيةُ حملتْ منَ الإعجازِ البيانيّ والبلاغيّ ما يدلُّ على مكانةِ السّجودِ وللحضِّ عليهِ، فإخبارُنا بسجودِ من في الكونِ فيه تعريضٌ إيجابيٌّ لنا.

الآيةُ الرّابعةُ:

" قل آمِنوا بهِ أو لا تؤمِنوا إنّ الّذينَ أوتوا العلمَ من قبلِهِ إذا يُتلى عليهم يخرّونَ للأذقانِ سجّدًا " الإسراء / ١٠٧ .

المفرداتُ:

أوتوا العلمَ : أصحابُ الدّياناتِ، وأتباعُ الرّسلِ السابقينّ.

الأذقانُ: جمعُ ذقنٍ وَهُوَ مَجْمَعُ اللّحْيَيْنِ .

الألوانُ البلاغيّةُ في الآيةِ:

الأمرُ المبدوءُ به في الآيةِ وغرضُهُ: التّحقيرُ.

الخبرُ الطلبيّ الّذي تلى الأمرَ : تؤمنوا إنّ الذينَ أوتوا العلمَ، والّذي جاءَ في نسقٍ متّصلٍ يتآزرُ فيهِ الإنشاءُ والخبرُ.

نجد المفسّرين قد تقاربتْ تفسيراتُهم في معنى الآيةِ.
فالزمخشريّ يذكرُ في تفسيرها:
" قُلْ آمِنُوا بهِ أوْ لا تُؤْمِنُوا أمرَ بالإعراضِ عنهم واحتقارهم والازدراءِ بشأنِهم، وأن لا يكترثَ بهم وبإيمانِهم وبامتناعِهم عنهُ، وأنّهم إن لم يدخلوا في الإيمانِ ولم يصدّقوا بالقرآنِ وهم أهلُ جاهليّةٍ وشركٍ، فإنّ خيرًا منهم وأفضل- وهمُ العلماءُ الّذينَ قرؤوا الكتبَ وعلِموا ما الوحيَ وما الشّرائعَ- قد آمنوا بهِ وصدّقوهُ، وثبتَ عندَهم أنّهُ النبيّ العربيّ الموعودُ في كتبهم، فإذا تُلى عليهم خرّوا سجّدًا وسبّحوا اللّه تعظيمًا لأمره ولإنجازه ما وعد في الكتبِ المنزّلة وبشّر به من بعثةِ محمّدٍ صلّى اللّه عليهِ وسلّمَ وإنزالِ القرآنِ عليهِ " (٢٥)
وكما نلحظُ فإنَّ الآيةَ تحملُ وتيرةً مترفّعةً في الخطابِ تلى آيات تحدّث على استهزاءِ الكافرينَ ومطالبتِهم بالإتيانِ بالملائكةِ والآياتِ، فجاءتهم على نسقٍ أشدّ بالاستهزاءِ والاحتقارِ، فكان الغرضُ من الأمرِ كما حملت التّحقيرِ، ويرى ابنُ عطيّة والواحديّ أنّ الغرضَ كانَ التّهديدَ والوعيدَ.
ونجد الإيجي في تفسيرهِ: جامعُ البيانِ في تفسيرِ القرآنِ، قد ذكرَ لفتةً جميلةً قد حملتها الآيةُ في التّعبيرِ عن الأذقانِ وأنّ المقصودَ بهِ مجمع اللحيين وليس الوجه:
يسقطونِ على وجوهِهم وذكر الذّقن للمبالغةِ في الخشوعِ وهو تعفيرُ اللّحي على التّرابِ أو أنّه ربّما خرّ على الذّقنِ كالمغشيِّ عليه لخشيةِ اللهِ واللّام لاختصاصِ الخرورِ بالذّقنِ (٢٦)
وذهبَ عاشورٌ في التّحريرِ والتّنويرِ إلى أنّ الغرضَ من الأمرِ هو: التّسوية. فالآيةُ ساوت بين إيمانِهم وعدمِ إيمانِهم (٢٧)
ويذهبُ قطب في الظّلالِ أنّ الغرضَ في الآيةِ من الأمرِ هو: التخيير، فهو كما يرى يخيّرهم بينَ الإيمانِ وعدمِ الإيمان.
ويحسنُ بنا أن ننقلَ تصويرَه البيانيّ البلاغيّ وهو الأديبُ المفسّرُ:
" وهو مشهدٌ موحٍ يلمسُ الوجدانَ. مشهدُ الّذينَ أوتوا العلمَ من قبلِه، وهم يسمعونَ القرآنَ، فيخشعونَ، و ـ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجّداً ـ إنهم لا يتمالكونَ أنفسَهم، فهم لا يسجدونَ ولكن يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجّداً ثمّ تنطقُ ألسنتُهم بما خالجَ مشاعرَهم من إحساسٍ بعظمةِ اللهِ وصدق وعدِه: سُبْحانَ رَبّنا إنْ كانَ وَعْدُ رَبّنا لَمَفْعُولًا . ويغلبهم التأثّر فلا تكفي الألفاظُ في تصويرِ ما يجيشُ في صدورهم منهُ، فإذا الدّموعُ تنطلقُ معبّرةً عن ذلكَ التأثّرِ الغامرِ الّذي لا تصوّره الألفاظُ: وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقانِ يَبْكُونَ ، وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ، فوقَ ما استقبَلوهُ به من خشوعٍ.
إنّه مشهدٌ مصوّرٌ لحالةٍ شعوريّةٍ غامرةٍ، يرسمُ تأثيرَ هذا القرآنِ في القلوبِ المتفتحةِ لاستقبالِ فيضِهِ العارفةِ بطبيعتِه وقيمتِه بسببِ ما أوتيت من العلمِ قبلَه. والعلمُ المقصودُ هو ما أنزلَه اللهُ من الكتابِ قبلَ القرآنِ، فالعلمُ الحقُّ هو ما جاءَ من عندِ اللهِ.
هذا المشهدُ الموحي للّذينَ أوتوا العلمَ من قبلِ يعرضُه السّياقُ بعد تخييرِ القومِ في أنْ يؤمنوا بهذا القرآنِ أو لا يؤمنوا، ثمّ يعقّب عليهِ بتركِهم يدعونَ اللهَ بما شاءوا من الأسماءِ- وقد كانوا بسبب أوهامِهم الجاهليّة ينكرونَ تسميةَ الله بالرحمن، ويستبعدون هذا الاسمَ من أسماءِ اللهِ- فكلّها أسماؤه فما شاءوا منها فليدعوه بها:
" قُلِ: ادْعُوا اللّهَ أوِ ادْعُوا الرّحْمنَ. أيًّا ما تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنى " .
وإنْ هي إلّا سخافاتُ الجاهليّةِ وأوهامُ الوثنيّةِ الّتي لا تثبتُ للمناقشةِ والتّعليل " (٢٨)
فهو كما انطلقَ في تصويرهِ يقرّر بوجودِ مشهدٍ يبعثُ النّفسَ على التأمّلِ والوقوفِ أمامَه، وهذه الآيةُ من آياتِ السّجداتِ حظيت بمزيةِ هذه الصّورةِ المؤثرةِ في النّفسِ الدّاعيةِ لها للانطلاق نحوَ التأثّر والتبتّل.
الآيةُ الخامسةُ:
" إذا تُتلى عليهم آياتُ الرّحمنِ خرّوا سجّدًا وبُكيًّا " مريم / ٥٨.
المفرداتُ: خرّوا: أقبلوا على الأرضِ يطؤونَها بجباهِهم.
سُجّدًا: جمعُ ساجدٍ.
بُكيًّا: جمعُ باكٍ.
ويرى القرطبيّ أنّ الآيةَ ذكرتْ في موطنِ التّأثيرِ في القلوبِ (٢٩)
وقدْ وقعتْ الآيةُ استئنافًا لسابقتِها الّتي بيّنتْ حالَ الأممِ السّابقةِ وصلاحَ متّبعي أنبيائِها.
وقد بيّنتِ الآيةُ حالَ المؤمنينَ من الأقوامِ السابقةِ المتّبعينَ للنبيّينَ المنعمِ عليهم عندَ تلاوةِ الآياتِ من ذكرِ ربّهم ، فكانَ الشّرطُ المبدوءُ بهِ الآيةُ (إذا تُتلى) هنا في مقامِ وصفِ الحالِ. كما أنّ الفعلَ الّذي لمْ يسمّ فاعلُهُ (بُنيَ للمجهولِ) تُتلى- يأتي في نسقٍ جماليٍّ منسحبٍ مع منظومِ الآيةِ.
ونجدُ المفسّرينَ متّفقينَ في دلالةِ الآيةِ ومعناها.
وهذهِ لفتةٌ بلاغيّةٌ يقدّمُها عاشورُ في التّحريرِ والتّنوير:
جُمْلَةُ إذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُ الرّحْمنِ مُسْتَأْنَفَةٌ دالّةٌ عَلَى شُكْرِهِمْ نِعَمَ اللّهِ عَلَيْهِمْ وَتَقْرِيبِهِ إيّاهُمْ بالْخُضُوعِ لَهُ بالسُّجُودِ عِنْدَ تِلَاوَةِ آيَاتِهِ وَبالْبُكَاءِ.
وَالْمُرَادُ بِهِ الْبُكَاءُ النّاشِئُ عَنِ انْفِعَالِ النّفْسِ انْفِعَالًا مُخْتَلِطًا مِنَ التّعْظِيمِ وَالْخَوْفِ (٣٠)

بكَ تحيَا القلوبُ وتتجدّد الذّكريات

شعر : عبد الملك الخديدي

لي فيكَ يا رمضانَ ذكرى لم تغبْ ... فانوسُ فرحتِنا وإيقادُ الحطب

ونسائمُ الصّومِ البهيِّ تزورنا ... بعدَ الأصيلِ بكلِّ طيفٍ مرتقَب

ومؤذّنٌ لا زالَ عذبَ ندائِهِ ... متوهّجاً للهِ يمدحُ بالطّلب

ومفارُ قريتنا تنادوا بهجةً ... بشرى الأذانِ لكلِّ قلبٍ محتسِب

وموائدُ الرّحمنِ تزخرُ بالرِّضا ... والسُّنّةُ الغرّاءُ تنمحُ بالرُّطب

والقهوةُ السّمراءُ تعلنُ عشقها ... للصّائمِ المشتاقِ نكهتُها العجب

للهِ صاموا والقلوبُ توجّهتْ ... والأجرُ يثبتُ بالدّعاءِ المكتسب

وبشائرُ الطّاعاتِ هلّ أريجُها ... بالذّكرِ يُتلى بالمواعظِ والخُطب

روحُ المصلّي بالتّراويحِ ارتقت ... وبحكمةِ القرآنِ أسجدْ واقترب

تحيا القلوبُ بصومِها وقيامِها ... وتطيبُ أنساً لا يخالطها نصب

رمضانُ مفتاحُ الهدايةِ والتّقى ... والبابُ يُفتحُ للمحبِّ إذا رغب

ربّاهُ بلّغنا بفضلِ صيامِهِ ... جنّاتِ عدنٍ والنّجاةَ منَ اللّهب

كيف يُقرأُ التّأريخُ ؟

(الجزء الثاني)

الدكتور
محمد موسى الشريف

الحمدُ للهِ ربّ العالمين، والصّلاةُ والسّلامُ على سيّدِنا محمّد وآلِهِ وصحبِهِ أجمَعين، وبعد:

٧ـ الاطّلاعُ على كتُبِ التّاريخِ الحديثِ:

وهذا هو البحرُ المتلاطمُ الخِضَمّ، والمنهلُ الأكبرُ الأعظمُ، وهوَ الّذي ينبَغي أنْ يتريّثُ المرءُ طويلًا قبلَ الخوضِ فيهِ والوقوفِ على دقائِقِهِ وتفصيلاتِهِ؛ وذلكَ لتشعبّه وكثرةِ أحداثِهِ كثرةً هائلةً.

ويمكنُ اعتبارُ الخطّ الزمنيَ الفاصلِ بينَ التاريخِ الحديثِ والتاريخِ الوسيطِ هوَ الحملةُ الفرنسيّةُ على مصرَ سنةُ ١٢١١هـ/ آخر القرنِ الثامن عشرَ وبدايةِ التّاسع عشرَ الميلاديّ: ١٧٩٩-١٨٠١، فمنذُ ذلكَ التّاريخِ مرَّ على العالمِ الإسلاميِّ أحداثٌ ضخمةٌ وكثيرةٌ جدًا، فُفي القرنينِ الفائتيْنِ وقعَ الاحتلالُ لأكثرِ بلادِ الإسلامِ فيما يُعرفُ خطأً بـ"الاستعمارِ" وهوَ استخرابٌ وليسَ استعمارًا، وكذلكَ سقطتِ الخلافةُ، وتكوّنتْ كلُّ الجماعاتِ الإسلاميّةِ، ونشأتْ المذاهبُ العقديّةُ الضّارةُ الجاهليّةُ مثل الشيوعيّةِ والقوميّةِ واليساريّةِ والاشتراكيّةِ والوجوديّةِ والبعثيّةِ وغيرِها، ونشأتِ الدّولُ الإسلاميّةُ بحدودِها المعروفةِ اليومَ حتّى بلغتْ قُرابةُ الستّين، وحُكِم في أكثرِها بغيرِ ما أنزلَ اللهُ في سابقةٍ تاريخيّةٍ ليسَ لها نظيرٌ في ديارِ الإسلامِ، وبرزَ رجالٌ عظماءُ ذادوا عَن حِمى الدّينِ، وفي الوقتِ نفسِهِ برزَ رجالٌ كانُ لهُم أسوأُ الأثرِ على الإسلامِ، وقامتْ حربانِ عالميّتانِ هلكَ فيهما أكثرُ منْ خمسينَ مليونًا إلخ ...

ولا بدّ أنْ يعرفَ المريدُ للتخصّصِ في التّاريخِ الحقائقَ التّاليةُ حولُ العصرِ الحديثِ:

١. ليسَ هناكَ كتابُ تاريخٍ واحدٌ جامعٌ اشتملُ على التّاريخِ الحديثِ كلّهِ، بلْ إنّ أكثرَ أحداثِ التّاريخِ الحديثِ مفرّقةٌ في عدّةِ كتبٍ.

٢. هناكَ أحداثٌ تاريخيّةٌ كثيرةٌ لمْ تدوّنْ إلى الآن.

٣. هناكَ أحداثٌ تاريخيّةٌ كثيرةٌ دُوِّنتْ خطأً: جهلًا أو نفاقًا ومداهنةً، أو مداراةً.

٤. هناكَ أحداثٌ تفرّدَ بكتابتِهَا المستشرقونُ -تقريبًا- أوْ أنّهُم أتلفوا كلَّ كتابةٍ سوى كتاباتِهِم؛ ومنْ أقربِ الأمثلةِ على ذلكَ التّاريخِ المفصّلِ لإندونيسيا؛ فقدِ احتلّها الهولنديّونُ ثلاثةُ قرونٍ تقريبًا فطمسُوا التّاريخَ، ونَفوا أبطالُهم ورموزَهم إلى جنوبِ إفريقيا، وقُتَلوا آخرينَ، فلمْ يبقَ منَ التّاريخِ الطّويلِ لتلكَ البلادِ سوى ما كتبَهُ هؤلاءِ المستشرقونُ -وهُم غير مؤتمنينَ في الجملةِ- ونتَفٌ قليلةٌ كتبَها أهلُ البلادِ بلغتِهم الأصليّةِ وبحروفِها الغريبةِ الّتي لمْ تَعُدْ يُكْتبُ بِها اليومَ لا تروي ظمأَ المتعطّشينَ لمعرفةِ تواريخِ تلكَ البلدان على التّفصيلِ.

وقِسْ على ذلكَ ما كتبَهُ الفرنسيّونُ عنْ بُلدانِ أفريقيا السّوداءِ، وما كتبَهُ الرّوسُ عنِ القوقازِ وتركستانُ الغربيّةِ، وما كتبهُ الصينيّونُ عن تركستانُ الشرقيّةِ، إلخ ...

ـ لذلكَ كلّهُ كانُ استيعابُ أحداثِ العصرِ الحديثِ أمرًا أقرب إلى العُسْرِ منهُ إلى اليسرِ، وفي بعضِ المواضيعِ يقتربُ من كونهِ مستحيلًا، لكنْ هناكَ بعضَ الكتاباتِ المقرّبةِ للتّاريخِ الحديثِ من أهمّها:

أ. كتاباتُ الأستاذِ محمود شاكر ياسين عن دولِ الإسلامِ الحديثةِ، وهي سلسلةٌ موجزةٌ جيّدةٌ، ولهُ كتابٌ مهمٌّ في بابٍ آخر منْ أبوابِ التّاريخِ الحديثِ يوجزُ فيهِ كثيرًا من الأحداثِ والوقائعِ وهوَ "الثّقافةُ التّاريخيّةُ".

ب. كتابُ "حاضرُ العالمِ الإسلاميّ" تأليف لوثروب ستودارد، مع الحُواشي النّافعةِ جدًّا للأميرِ شكيب أرسلان رحمهُ اللهُ.

د. كتاباتُ الأستاذِ أحمَد شلبي عنِ التّاريخِ الحديثِ، وهي قليلةٌ لكنّها نافعةٌ.

هـ كتبُ الأستاذِ أنور الجنديّ وفيها كثرةٌ وتنوّعٌ، وليُقرأ كتابُ "معالمُ تاريخِ الإسلامِ المعاصرِ" على وجهِ الخصوصِ.

و. كتابُ الأستاذِ يوسف القرضاوي: الحلولُ المستوردةُ وكيف جنتْ على أمّتِنا.

ز. بعضُ كتاباتِ الأستاذِ عماد الدّين خليل، وتمتازُ بالتّحليلِ العميقِ واختيارِ الكليّاتِ.

و. بعضُ كتبِ الأستاذِ عليّ الصّلابي خاصّةً كتابه عن السنوسيّةِ.

٨ـ إحسانُ التّعاملِ مع تاريخِ آخرِ الزّمانِ:

وهذهِ قضيّةٌ مهمّةٌ جداً؛ قد زلّت بها أقدام، وضلّت فيها أفهامٌ، وقصُرتْ فيها ألسنةٌ وطالتْ أُخرى!! وذلكَ نحوَ ظهورِ المهديّ وخروجِ الدجّالِ ونزولِ عيسى بنُ مريمَ -عليهما الصلاةُ والسّلامِ- وغير ذلك من أحداثِ وعلاماتِ آخرِ الزّمانِ واقترابِ السّاعةِ، وإنّما قلتُ هذا لما تركتْهُ هذهِ الأحداثُ في نفوسِ كثيرينَ منْ آثارٍ مدمّرةٍ أوجزها في التّالي:

١) الاتّكالُ على هذه الأخبارِ وتركِ العملِ:

التعلّقُ بهذهِ الأخبارِ ونحوِها تعلّقًا يُفضي إلى تركِ العملِ والجدِّ والاجتهادِ بدعوى تركِ ذلكَ للمهديِّ إذا ظهرَ!! وهذا مخالفٌ لنهجِ النبيِّ صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ: "إذا قامتِ السّاعةُ وفي يدِ أحدِكُم فسيلةً فليغرِسْها" أخرجَهُ مُسلمٌ.

٢) إهمالُها بالكليّةِ:

وهذا خطأ ومنافٍ لمنهجِ النبيّ صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ الّذي حذّرَ مرارًا منَ الدجّالِ وأمرَ الأمّةُ بالتّحذيرِ منهُ، وقدْ قصَّ علينَا جملةً من أخبارِ آخرِ الزّمانِ بل قد جاءَ جملةٌ منها في القرآنِ العظيمِ فالإعراضُ عنهَا جَهلٌ وجفاءٌ وسوءُ قراءةٍ للوحيِ.

٣) إساءةُ تفسيرِها:

فكم من جماعاتٍ ضلّتْ بسببِ التّعلّقِ بظهورِ المهديّ، وكانُ هذا منذُ القرنِ الأوّلِ: فقدْ كانُ محمّدُ بن الحنفيّة (ابن عليّ بن أبي طالب) يُنادى عليه من قبلِ بعضِ النّاسِ بأنّه المهديّ، وظهرَ ما لا يمكنُ حصرهم ممّن ادّعوا المهديّة إلى زمانِنا هذا الّذي حدثتْ فيهِ مأساةُ الحرمِ المكيِّ المعروفةُ بسببِ التعلّقِ الموهومِ بالمهديّ.

وكم من جماعاتٍ في زمانِنا هذا تتبّعتْ أحداثُ آخرِ الزّمانِ تتبّعًا خاطئًا في التّوراةِ والإنجيلِ المحرّفينِ!! وفي كتبِ الرّهبانِ الكفرةِ! وفي بعضِ أخبارِ بني إسرائيلُ الواردةِ في الكتبِ المشتهرةِ بإيرادِ المكذوباتِ والموضوعاتِ والأخبارِ الساقطةِ وشديدةِ الضّعفِ، ومسألةُ آخرِ الزّمانِ من الغيبِ الّذي لا يؤخذُ إلّا منَ القرآنِ والسنّةِ الصّحيحةِ وقد جمعني ببعضِهم مجلسٌ تحسرت فيها على ما وصلُ إليهِ تفكيرُ هؤلاءِ من عُقمٍ وضعفٍ.

وقد قرأتُ كتبًا صُنفت في هذا البابِ عجبتُ من تهافتِ منطقِها وضعفِ حجّتِها وسوءِ إيرادِها، وقد وقعَ مصنّفو هذهِ الكتبِ في خطأ فادحٍ يومَ حدّدوا وقوعَ السّاعةِ أو ظهورَ المهديّ أو خروجَ الدجّالِ بالسّنةِ بل بالشّهرِ، وهذا من الغيبِ الّذي لا يعلمُهُ إلّا اللهُ تعالى، وإنّا للهِ وإنّا إليهِ راجعونُ.

والمطلوبُ أنْ يقرأُ المرءُ تاريخَ آخرِ الزّمانِ بنيّةِ الاستفادةِ واستنباطِ العبرَ والعِظاتِ، وبنيّةِ الاستعدادِ ليومِ المعادِ، لا أنْ يقتحمَ الغيبَ المجهولُ بتخرّصاتٍ وظنونٍ وأوهامٍ لا تستندُ إلى حقائقَ، واللهُ الموفّقُ.

وادي إيسْكَا

صبري رسول

إلى عيون اللُّوتس في انتظارها السَّاخن لنضج الفاكهةِ
تدلّت كخرقةٍ متطايرةٍ مع الرّيح على العمق المخيفِ من الوادي، النَّظرُ إلى الانحدار السِّحيق يولّدُ خوفًا متعدِّدَ الأبعادِ، خوفًا يعتقلُ جغرافيّة الجرأةِ. تشبَّثتْ بجذرِ الشَّجرةِ المقوّسِ النّافرِ بين الصّخور، تحاولُ بعنادٍ حديديٍّ شرسِ الاستمرارَ في الصّمودِ، أصابعُها الفستقيّةُ التقّتْ على جذرٍ نافرٍ، ازرقّت متعبةً، لا تتركُ الجذرَ فتهبط بقوّةِ ثقلِها، ولا تصعَدُ لتنقذَ نفسَها، كمُّ الفستانِ انزاحَ إلى الكتفِ، معرّيًا زندها البضّ، فتعرَّشَت خطوطٌ زرقٌ بين ثلج بياضِها، الشّالُ المزركشُ يتمايلُ متناغمًا مع الرّيح. عيناها الشَّبيهتان بلونِ انعكاسِ الشّمس على صفحةِ الماءِ تستغيثان صامتتين، عينانِ اختلستا من الزَّيتونِ لونه الملكيّ الشّامخَ، بريقُهما يرسمُ مساحاتٍ شاسعةً من حبّ الحياةِ على خدّيها المتورّدتين. النَّاسُ يتناثرونَ في مفاصلِ المرجِ المنبسطِ تحتَ ظلالِ الأشجار وعلى جنباتِ الصّخورِ الصَّامتةِ، منشغلينَ بشؤونِهم غير الواضحةِ، في لحظةِ انسجامٍ معَ الطَّبيعةِ، شؤونٌ صغيرةٌ وكبيرةٌ لا تخضعُ لحكمِ التّرتيبِ، فيُضيعُ المرءُ سنينَ عمره دونَ إنجازها. لا أحد يعيرُ انتباهًا إلى رسائلِ الاستغاثةِ من عينيها، يتجاهلونَ صدى صوتِها المنْبَعثِ من شتاتِ الوادي السّحيق. انبطحتُ أرضًا، زحفتُ نحوَ جذعِ الشّجرةِ، قبضتُ على وتدٍ قويٍّ من جذعِها، مددْتُ يدي الأخرى نحوَ يدِها القابضةِ على مُغيثِ الشّجرةِ، لامَستْ أصابعي ظاهرَ يدِها، كانت ناعمةً رغمَ قوّةِ العنادِ فيها، تسرَّبتْ قشعريرةٌ ساخنةٌ إلى أصابعي، سخونةُ الظَّاهرِ ليستْ دائمًا انعكاسًا لبرودةِ المخفيّ، شعرتُ بأنَّ روحَها انتقلتْ إلى يَدي وأنَّ روحَ الحياةِ في نفسِها تشبَّثتْ في نفْسي. التقّتْ أصابعي كأسوارٍ على معصمِ يدِها، طلبتُ منها التسلُّقَ اعتمادًا على قوّةِ زندي. استوطنَ شكٌّ في داخلي بأنّها تتماطلُ ثقيلةً، وكأنّها لا تريدُ الصّعودَ، فلاحَتْ في نفسي فكرةٌ جنونيّةٌ: أأتركها تهبطُ إلى عمق الوادي الشَّاهق؟ هل كانتْ تريدُ الانتحارَ ؟ فأقدمتْ في لحظةٍ غابَ فيها العقلُ عن الشّعور، على هذه المحاولةِ، ثمَّ تراجعتْ عندَ التقاءِ الموتِ بالحياةِ ؟ أم زلَّ بها قدرُ السّقوطِ فأوصلَها إلى طرفِ الهاويةِ.
نظرْتُ إلى عينيها بالتفاتةٍ خاطفةٍ، كانتا غيمتين تُمطران أملًا أبيضَ مشوبًا بلونِ الغسقِ المرتسمِ على صفحةِ الغروبِ، فيما تجري خيولُ الحبِّ صامتةً فيهما، تخبّئان موجاتٍ متكسّرةً تنداحُ إلى براري الطّفولةِ، قرأتُ فيهما لهفةَ الانعتاقِ من السّقوطِ الكارثيّ، نظرتُ خلفي آملًا في العثورِ على مُغيثٍ قريبٍ. كلٌّ يسرحُ في شؤونِه. صرختُ طالبًا منها الصّعودَ قبل أنْ تستسلمَ أيدينا للارتخاءِ، نظرتْ إليَّ صامتةً، ألوانُ الطَّيفِ الشَّمسيّ كلُّها تتمازجُ في عينيها، تمنحني قوّةً جارفةً، سحبتُها بقوّةٍ كبيرةٍ تجمعَتْ في داخلي، ولّدتْها رغبةُ الإنقاذِ، رأيتُها تضعُ رجلَها على نتوءٍ بارزٍ في الصّخرِ الحاضنِ للشّجرةِ، استجابةً لنداءٍ روحيٍّ في داخلِها التقى مع النّداء المنطلق من روحي، فصعدَتْ إلى الأعلى، تمكّنتُ من الإمساكِ بيدِها، وسحبتُها ثانيةً. وضعتْ إحدى رجليها على جذعِ الشّجرةِ وقفزتْ بقوّةٍ نحوي. عانقتني بعد أن سقطتْ على صدري، أنفاسُها اللّاهثةُ تلفحُ وجهي، ثمَّ وضعتْ رأسَهَا على كتِفي. تنفَّستُ الصّعداءَ، فشعرتُ بثقلِها النَّاعمِ اللَّدن. كانت روحُها تتسرَّبُ إليَّ، رفعتُ رأسي وإذ بها تنظرُ إليّ بعمقٍ كثيفٍ ثقةٍ.
" الأنثى دافئةٌ دائماً، عندما تحزنُ، عندما تفرحُ، عندما تحبُّ؛ هي دافئةٌ حتّى عندما تكرهُ " .قلت لها ذلكَ . " كنتُ جزءًا منك، منسيًّا، جزءًا تائهًا في مجاهيلِ الحياةِ، لم تبحثْ عنّي في غناءِ الحياةِ، فأنْقذتَني في ثراءِ الموتِ " قالت ، ثم أسبلتْ رموشها. باغتَتْني ثانيةً : كنتُ ذلكَ الجزء الذي أهملتَهُ، حتّى علا الغبارُ عليهِ، هل أستحقُّ الحياةَ ثانيةً كي تجازفَ من أجلي؟
(كنتِ مختبئةً في ثنايا المجهولِ الغارقِ في فقهِ العدمِ، كنتِ مختبئةً في كلماتٍ تلاشتْ معانيها منذُ غابرِ الأزمانِ، بحثتُ عنكِ في ضفافِ الأنهار، في أزقةٍ تنكَّرتْ لصوتي، في مدنٍ رحلتِ منها، في كتبٍ أهملها القرّاءُ المنشغلونَ أبدًا في ترتيبِ اللّازمن) قلتُ لها يقينًا منّي بأنَّ الأنثى هي حروفُ الكتبِ، بل هي دموعُ الغيمةِ في عطفِها على الأرض، وهي قطراتُ القلبِ على القلبِ.
اعتدلتْ في جلستِها، ونظرتْ في عينيَّ قائلةً: كنتُ ثمرةً دانيةً فقطفني غيرُكَ لحظةَ انشغالِكَ بتوزيعِ ابتساماتِك على القرويينَ، كنتُ حديقةً لم تزرْها ولم تسقِها، كنتُ ذلك الضّوءَ الذي يمدُّكَ بالحياةِ، وذاكَ الأفقَ الذي يغرقكَ بالآمال، بل إنّي من أنفاسِ هذا القلبِ النَّابضِ فيك.
نظرتُ إلى شفتيها الكرزيَتين والرّيحُ تقبّلُهما، وقرّبْتُها من نفسي، مترجمًا نبضاتِ قلبي: إنّكِ شاطئُ أمنياتي، واخضرارُ حقولي، فالدّم الثائرُ في عروقي دمكِ، وهذه الرّوحُ الشّفيفةُ التي أحملُها روحُكِ. تعانقنا بقوّةٍ حتّى تلاشينا، وصعدنا كبريق ضوءٍ خاطفٍ إلى السّماء، وأصبحْنا شهقةً خافتةً يتنفَّسُها الغروبُ.

الأدب الإسلامي

د. عبد الفتاح افكوح

تُرى ما عساهُ يكونُ "الأدبُ الإسلاميُّ"؟ وما عساهُ يكونُ ما يشوبُ هذا المصطلحَ لفظًا ودلالةً من فهمٍ خاطئٍ وريبةٍ، وإدراكٍ قاصرٍ؟

سنحاولُ في هذا المقال التّعريفَ بالأدبِ الإسلاميِّ أوّلًا، ثمّ نكشفُ بعدَ ذلكَ عنْ جميعِ الزّوائدِ والشوائبِ الّتي تحيطُ بحقيقةِ هذا الأدبِ، الّذي أثارَ وما يزالُ يثيرُ الكثيرَ منَ الجدل.

إنّ معظمَ الأدباءِ، والنّقادِ، والباحثينَ يكادونَ يلتقونَ عندَ تعريفٍ واحدٍ للأدبِ الإسلاميِّ، وهو الآتي: الأدبُ الإسلاميُّ تعبيرٌ جماليٌّ وفنيٌّ مؤثّرٌ بالكلمةِ عنِ الحياةِ والإنسانِ، والكونِ، وهو صدَى القيمِ في النّفسِ والتصوّراتِ الفكريّةِ من خلالِ الرّؤيةِ الإسلاميّةِ. لقدِ اهتمَّ كثيرٌ منَ الباحثينَ والنّقادِ بالأدبِ الإسلاميِّ، فحاولوا كشفهُ وإيضاحَهُ، واجتهدوا في إبرازِ خصائصِهِ الفنيّةِ والموضوعيّةِ، منطلقاتِهِ وغاياتِهِ، عسى أنْ تتّضحَ صورتُهُ النهائيّةُ في أذهانِ الأدباءِ، والنّقادِ، والقرّاءِ، ونجدَ أمامَنا اليومَ جملةً من المؤلّفاتِ والدّراساتِ النقديّةِ والأعمالِ الأدبيّةِ، التي اتّخذتِ الأدبَ الإسلاميَّ محورًا ومدارًا.

وليستِ الدّعوةُ إلى هذا الاتّجاهِ الأدبيِّ حديثةَ العهدِ، أو نتيجةً لانتشارِ الصّحوةِ الإسلاميّةِ؛ بل إنّ الأدبَ الإسلاميَّ عتيقٌ في آياتِ الذّكرِ الحكيمِ وسورِهِ الكريمةِ، وفي كلماتِ محمّدِ بنِ عبدِ اللهِ عليه أفضلُ الصّلاةِ وأزكى السّلامِ، وفي كمٍّ غيرِ قليلٍ منَ النّثرِ والشّعرِ العربيِّ منذُ بزوغِ فجرِ الدّعوةِ الإسلاميّةِ. لكنْ ما يثيرُ الإستغرابَ حقًّا، هوَ أنّ البعضَ يعتبرونَ مصطلحَ "الأدبُ الإسلاميُّ" مجرّدَ تعبيرٍ شاعَ في الأعوامِ القليلةِ الأخيرةِ، في ظلِّ ما عرفتهُ الحركاتُ الإسلاميّةِ في مصرَ والعالمِ العربيِّ الإسلاميِّ من تطوّرٍ ونموٍّ؛ بل ويزعمونَ أنّ هذا الأدبَ لمْ يتمّ بعد تحديدُ اصطلاحِهِ وضبطُ حمولتِهِ الدلاليّةِ بكيفيّةٍ علميّةٍ، وهناكَ طائفةٌ ثانيةٌ من الأدباءِ والنّقادِ ترفضُ الأخذَ بمصطلحِ "الأدبِ الإسلاميِّ"، وتأبى توظيفهُ بدعوى غيابِهِ في الدّراساتِ الأدبيّةِ التراثيّةِ، وثمّةَ طائفةٌ ثالثةٌ تنظرُ إلى الأدبِ الإسلاميِّ على أنّهُ فكرةٌ عاطفيّةٌ غيرُ ناضجةٍ، تنطوي على نظرةٍ تقديسيّةٍ إلى الماضي، وتستدلّ على هذا الزّعمِ والادّعاءِ بواقعِ العلاقةِ التي تجمعُ الأديبَ المسلمَ بالقرآنِ والسنّةِ. إنّ الأدبَ العربيَّ الحديثَ يعاني من ظاهرةِ تغريبِ الذاتِ المسلمةِ، وغيابِ الذاتيّةِ الإسلاميّةِ في هذا الأدبِ يعني أنّ الذاتَ الكاتبةَ تشكو من انفصامٍ شديدٍ، وميزةُ الأدبِ الإسلاميِّ تكمنُ في انفرادِهِ بقواعدَ أساسيّةٍ لا تصدرُ عن مفاهيمَ وضعيّةٍ، أو أهواءَ وتأمّلاتٍ بشريّةٍ؛ بل إنّها قواعدٌ نابعةٌ من قلبِ العقيدةِ الإسلاميّةِ، القائمةِ على القرآنِ والسنّةِ النبويّةِ، ثمّ إنّ الأدبَ الإسلاميَّ ليسَ مجرّدَ تجربةٍ عارضةٍ أو عابرةٍ، أو هو عبارةٌ عن مغامرةٍ فرديّةٍ أو جماعيّةٍ، قائمةٍ على مبدأ "خالفْ تُعرفْ"، وإنّما هو أدبٌ له منَ الخصائصِ الماديّةِ والروحيّةِ ما لا سبيلَ إلى تجاهلِهِ أو إنكارِهِ.

أمّا الشّرطُ الأساسُ في الأدبِ الإسلاميِّ، فهو أن يكونَ بالمعيارِ الإبداعيِّ راجحًا، وأنْ يكونَ الأثرُ الّذي يتركُهُ في النّفسِ محمودًا، وأنْ يرغبَ القارئُ في الإسلامِ بمبادئِهِ وقيمِهِ السّاميةِ، باعثًا لهُ على الإقترابِ منهُ، وليسَ المقصودُ بالأدبِ الإسلاميِّ أن يكونَ تاريخًا أو بحثًا فقهيًّا، ولا تفسيرَ آيةٍ أو شرحَ حديثٍ، فهذه الأنماطُ من الكتابةِ ليستْ أدبًا. لكن الذي يجبُ أن نؤكّدَ عليهِ وننبّهَ إليهِ أوّلًا و أخيرًا، هو أنّ الأدبَ الإسلاميَّ رهينٌ بالإسلامِ، وموقوفٌ على الأديبِ المسلمِ، وبعبارةٍ ثانيةٍ نقولُ: إنّ الحديثَ عن الأدبِ الإسلاميِّ في غيابِ العقيدةِ الإسلاميّةِ والذّاتِ المسلمةِ يعدُّ ضربًا منَ المستحيلِ؛ فنحنُ لا نتّفقُ جملةً وتفصيلًا معَ منْ يرَى بأنّ الأدبَ الإسلاميَّ يشملُ كلَّ نصٍّ أدبيٍّ، شعرًا كانَ أمْ نثرًا، يتحقّقُ فيه المعنى الإسلاميّ، وإنْ كانَ صاحبُ النصِّ لا يدينُ بالإسلامِ، ولا يلتزمُ بهِ في واقعِ حياتِهِ. صحيحٌ أنّ جميعَ العصورِ الّتي عرفَ فيها الإنسانُ الأدبَ، لمْ تخلُ ممّا يجوزُ أنْ نسميَه: "أدبُ الفطرةِ الإنسانيّةِ"، سواءً الشفهيّ منهُ أمِ المكتوبُ، وهوَ أدبٌ يتّفقُ ولا يختلفُ في مضمونِهِ ومحتواهُ معَ "الأدبِ الإسلاميِّ"، لكنّهُ لا يتماهى معهُ أو يرادِفُهُ من حيثُ المدلولِ، واللّفظِ، والماهيّةِ، لأنّ أدبَ الفطرةِ الإنسانيّةِ يفتقدُ روحَ العقيدةِ الإسلاميّةِ، الّتي يجبُ أنْ تحكمَ رؤيتَهُ ومنحاهُ وغايتَهُ، بخلافِ الأدبِ الإسلاميِّ الذي ينبعُ من تصوّرِ الدّينِ الإسلاميِّ، ويهتدي بتعاليمِهِ، وقيمِهِ، ومبادئِهِ. نعم، قد تأتي على الإنسانِ غيرِ المسلمِ أوقاتٌ يتحدّثُ فيها أو يكتبُ تبعًا لما فُطِرَ عليهِ، واهتداءً بصوتِ الفطرةِ الذي يتردّدُ صداهُ في أعماقِهِ، لكنْ منَ المستحيلِ أنْ نلتمسَ الأدبَ الإسلاميَّ عندَ كتّابٍ يرفضونَ أصلًا الانتسابَ إلى هذا الأدبِ، ويجهرونَ علانيةً بتمسّكِهم وإيمانِهم بتصوّراتٍ تناقضُ الإسلامَ في أصولِهِ وفروعِهِ.

وممّا لا شكّ فيهِ أنّنا لنْ نتمكّنَ بأيِّ حالٍ منْ إقرارِ المضمونِ الإسلاميِّ لأيِّ نصٍّ أدبيٍّ بدعوى أنّ صاحبَهُ مسلمٌ، لأنَّ إسلامَ الشّخصِ غيرُ كافٍ للحكمِ بالصّفةِ الإسلاميّةِ لأيِّ خطابٍ أدبيٍّ؛ بلْ إنّ الحكمَ بهذهِ الصّفةِ يقتضي النّظرَ في الإنتاجِ الأدبيِّ، لكنّنا في ذاتِ الوقتِ لا نتّفقُ معَ منْ يَرى بأنَّ مصطلحَ "الأدبِ الإسلاميِّ" لا صلةَ لهُ بالأديبِ، وإنّما هوَ دالٌّ على الأدبِ في ذاتِهِ، فهلْ نحكُمُ للنصِّ الأدبيِّ بالصّفةِ الإسلاميّةِ لمجرّدِ أنّ صاحبَهُ استشهدَ بآيةٍ قرآنيّةٍ أو بحديثٍ نبويٍّ شريفٍ؟! وبناءً على شرطِ الإعتقادِ في الإسلامِ يظهرُ الفرقُ جليًّا بينَ "الأدبِ العربيِّ" و"الأدبِ الإسلاميِّ"، وهذه الحقيقةُ ليستْ وليدةَ اليومِ؛ بل تاريخُها يعودُ إلى مجيءِ الإسلامِ، حيثُ اتّخذَ الأدبُ منحًى آخرَ ووُجهةً مغايرةً لتلكَ التي عاشَها في العصرِ الجاهليِّ، كما عرفتْ القراءةُ الأدبيّةُ تطوّرًا ملحوظًا، فصارتْ هيَ والأدبُ أداتين للتّهذيبِ الخلقيِّ، والتربيةِ النّفسيةِ والروحيّةِ. وبالفعلِ ارتقى الأدبُ العربيُّ بفضلِ الإسلامِ إلى مكانةٍ جليلةٍ، بحيثُ لمْ ينفِ عنهُ المفهومَ الّذي عُرِفَ بهِ في الجاهليّةِ؛ بل قوّمَهُ وسدّدَهُ بأنْ وجّهَهُ الوُجهةَ الصحيحةَ الّتي تمكّنُهُ منَ النموِّ والسموِّ الفكريِّ والروحيِّ، وهذهِ كانتْ روحًا ودفعةً جوهريّةً جدّدَ الإسلامُ بها الحياةَ في قلبِ وجسدِ الأدبِ العربيِّ، وهي نفسُ الرّوحِ التي يفتقرُ إليها معظمُ الإنتاجِ المنشورُ اليومَ باسمِ الأدبِ العربيِّ الحديثِ، الذي تحكمُهُ في الغالبِ تصوّراتٌ غيرُ إسلاميّةٍ، وتهيمنُ عليهِ رؤيةٌ غيرُ واضحةِ المعالمِ، ويكفي أنّه أدبٌ تتنازعُهُ مظاهرُ القوميّةِ، والإقليميّةِ، والمحليّةِ الضيّقةِ من جهةٍ، والمفاهيمُ والمواضعاتُ من جهةٍ ثانيةٍ. إنّ الأدبَ الإسلاميَّ هو الذي بإمكانِهِ أنْ يشملَ كُلًّا منَ "الأدبِ العربيِّ" و"الأدبِ الأجنبيِّ"، لكنْ بشرطِ أنْ تكونَ الذاتُ المنتجةُ لأيِّ نصٍّ أو عملٍ أدبيٍّ معتقدةً في الإسلامِ، وأنْ تكونَ كتاباتُها الأدبيّةُ شاهدةً على اعتقادِها، إذ لا وجودَ إطلاقًا لأيِّ إنتاجٍ أدبيٍّ مجرّدٍ؛ بلْ إنّ صلةَ كلِّ إبداعٍ وثيقةٌ بما يدينُ بهِ صاحبُهُ، أو ما يؤمنُ بهِ فكرًا كانَ أمْ عقيدةً، ثمّ إنّ الإسلامَ لمْ يكنْ يومًا دينًا موقوفًا على العربِ فقطْ، أو عقيدةً مغلقةً ومعزولةً في مكانٍ وزمانٍ محدودَين؛ بل منذُ كانَ الإسلامُ وهوَ دينٌ مفتوحٌ أمامَ الأعاجمِ، وغيرُ محرّمٍ على من يريدُ الدّخولَ فيهِ طواعيةً. هذه كانت نظرةٌ وجيزةٌ حولَ الأدبِ الإسلاميِّ، الّذي لقيَ دونَ وجهِ حقٍّ غيرَ قليلٍ منَ التّجاهلِ المنكرِ منْ طرفِ الكثيرينَ، فهلْ منْ منتصرٍ لهذا الأدبِ الشّامخِ العريقِ ..؟

فرضٌ محبّتُه

الدّكتور أحمد راضي

خشـــــعَ الكلامُ، وكلّ شيءٍ خاشـــــعُ ... فالحبّ في محـــــراب ذكْـــــرِكَ راكـــــعُ
حتّى القلوب - وكلّ قلبٍ مســـــكنٌ ... لهـــواكَ يحدوهـــا إليـــكَ دوافـــعُ
حبّ، وإيمـــانٌ، وشـــربةُ كـــوثرٍ ... ورحـــابُ فـــردوسٍ، وأنتَ الشّـــافعُ
فخـــرٌ لنـــا أنّـــا رُزقنـــا حبّـــهُ ... سَـــكَنَ السّـــويدا ، ظلّلتْـــه أضالـــعُ
وتجمّـــلتْ فـــي ذكـــره أقـــلامُنـــا ... ونمـــا علـــى مـــرجِ الحـــروفِ بـــدائعُ
مـــا مدحُنـــا لجنابـــه فخـــرٌ لـــه ... لكن بـــه يســـمو القريـــضُ المـــاتعُ
لـــولاكَ مـــا يُدرى مـــآلُ نفوسِـــنا ... سَـــقَـــرٌ، وأهـــوالٌ بـهـــا ومَقـــامعُ
وطـــعامُها ذو غُـصّـــةٍ وشـــرابُها ... سُـــمٌّ ولا موتٌ هنالك نـاقـــعُ
ذي نعمـــةٌ مـــن ربّنـــا مهمـــا شَـــكَرنا ... لا يوفّـيهـــا الشّـــكورُ الطـــائـعُ
يا ســـيّدَ الكـــونين يـــا ركنَ الهـــدى ... لك عـــند كـــلّ المســـلمـين صنـــائعُ
يا رحمـــةً للعـالمـــين بُعِثـــتَ كـــي ... تُحيي الخليقـــةَ حـــين عـــزّ الـــوازعُ
فتهـاطلـــتْ منـــك الحيـــاةُ، تَـلَـفّـفـتْهـا ... فـــي النّفـــوسِ المـاحـــلاتِ بـــلاقـــعُ
رشَـفَـــتْ شَـــآبيب الهُـــدى فتحوّلَتْ ... واحـــاتِ نـــورٍ خـدّهـــا يتمـــارعُ
مـــا فـــوقَ مـــدحِ اللهِ في آيـــاتهِ ... خُلُـــقٌ عظـــيمٌ كالمنـــارةِ ســـاطعُ
ظلمـــوكَ لمّـــا كشّـــرتْ أقـــلامُهـــم ... وتـواطـــأتْ معهـــا علـــيك أصـــابعُ
رسمـــوكَ إفـــكًا سافـــرًا، إذ بينَ مـــا ... رســـموا وبين الصّدق بونٌ شـــاسعُ
مـــا كان رميُهُـــمُ تراشـــقُ صِبيـــةٍ ... لـــكنّما خلـــفَ السّـــهـــام نَـــوازِعُ
هـــمْ أخرجـــوا أضغـــانَهمْ تســـعى كما ... تســـعى إلى بيضِ الطيور أشـــاجِعُ
لم يعلمـــوا أنّ الـــذي شـــتموا نجـــاةَ ... نفوسِـــهم، ولنفسِـــهِ هـــو بـــاخعُ
يا ســـيّدي، مـــا قولـهـــم أو فعلهـــم ... إلّا هـــوامٌ قـــد دهَـــتْـــه زوابـــعُ
وغـــدًا يعـــود الإفـــكُ ينعَبُ حيثُ همْ ... وكأنّـــه فـــوقَ الطّلـــول فواجـــعُ
يا ســـيّدي .. خَجِلًا أتيتُـــكَ أشـــتكي ... فالضّـعـــفُ آخـانـــا، وثَمّ زعـــازعُ
خَجَـــلًا نزفـــتُ، فأمّتي كغثـــاءِ ســـيلِ ... عـدّهـــا، لكـــن ســـرابٌ خـــادعُ
وتـــرى الصّـــواري قد تـألّـــب همّهـــا ... في نابِهـــا، والهـــمّ فينـــا هـاجـــعُ
لم نتّفـــقْ قـــولًا عـــلى تأديبهـــم ... أو نجتمـــعْ فـــي فعلنـــا فـنقاطـــعُ
فـــإذا اعترَضْنـــا أيّ أمـــرٍ تافـــهٍ، ... أهواؤُنا - بلهَ العظـــيمَ - تَصـــارَعُ
تعِـــبَ الطّـــريقُ وما اهتـدينـــا مـــرّةً ... والشّـــوطُ أرهقَهُ النّحوسُ الطّالعُ
كلُّ الجيـــادِ تساقطـــتْ من قبـــلِ أنْ ... يُنهى المســـيرُ وليس فيهم ضابعُ
هيَ حالنـــا لمّـــا نســـينا ســـنّةً ... خلّفْـــتَها، فهي الـــدّواءُ الـــناجـــعُ
لا خـــيرَ نبلغـــه إذا لـــم نُحْيهـــا ... فـــيها الهُـــدى، وكذاك قال الشّـــارعُ
صـــلّوا على خـــير الأنـــام وســـلّموا ... دِرْعًـــا لكـــم، لمّـــا يعـــزّ الـــدّارعُ
فـــرضٌ محبّتُـــهُ لمـــن طلـــب الجنـــانَ ... ومـــن أبى، فَلَـــهُ شُـــواظٌ لاذعُ

ومضات إسلامية

يقولُ الإمامُ ابنُ القيّمِ: "إذا استغنى النّاسُ بالدّنيا فاستغنِ أنتَ باللهِ، وإذا فرحَ النّاسُ بالدّنيا فافرحْ أنتَ باللهِ، وإذا أنِسَ النّاسُ بأحبّائِهم فأُنسْ أنتَ باللهِ، وإذا ذهبَ النّاسُ إلى ملوكِهم وكُبرائِهم يسألونَهم الرّزقَ ويتودّدونَ إليهمْ فتودّدْ أنتَ إلى اللهِ"

قالَ الحسنُ البصريُّ: "منْ نافسَكَ في دينِكَ فنافِسْهُ، ومنْ نافَسَكَ في الدّنيا فألقِها في نحرِهِ".

قالَ يحيى بنُ معاذٍ: "القلوبُ كالقدورِ تغلي بما فيها، وألسنتُها مغارفُها، فانظر إلى الرّجلِ حينَ يتكلّمُ، فإنّ لسانَهُ يغترفُ لكَ ممّا في قلبِهِ، حلوًا، حامضًا، عذبًا، أجاجًا، وغيرَ ذلكَ، ويبيّنُ لكَ طعمَ قلبِهِ اغترافُ لسانِهِ".

لابنِ القيّمِ، من كتابِهِ "الفوائدُ"

"القلبُ يمرضُ كما يمرضُ البدنُ، وشفاؤُهُ في التّوبةِ والحميةِ، ويصدأُ كما تصدأُ المرآةُ، وجلاؤُهُ بالذّكرِ، ويعرى كما يعرى الجسمُ، وزينتُهُ التّقوى، ويجوعُ ويظمأُ كما يجوعُ البدنُ، وطعامُهُ وشرابُهُ المعرفةُ، والتوكّلُ، والمحبّةُ، والإنابةُ.

السلامُ .. هل يحاربُ العنفَ؟

خليل حلاوجي

كان قتلُ قابيلَ لهابيلَ أوّلَ درسٍ يرشدُنا القرآنُ الكريمُ لتعلّمِهِ، ففي السّاعاتِ الأولى التي أعقبت نزولَ سيّدِنا آدمَ إلى الأرض، وقعَ الحدثُ الأهمُّ في تاريخِ الإنسانيّةِ. وكانَ العنفُ فاتحةَ التّاريخ، فهل العنفُ ظاهرةٌ عابرةٌ أم هو نتيجةٌ لأسبابٍ مخفيّةٍ داخلَ الضّميرِ الإنسانيِّ، أم أنّ أصلَ العنفِ - بحسبِ الرّؤيةِ الماركسيّةِ - عائدٌ إلى التّفاوتِ الطبقيّ بينَ الأخوةِ في العائلةِ الإنسانيّةِ حيثُ التّنافسُ هو الذي يعطي المعنى النهائيّ لوجودِنا فوقَ الأرض!! أم أنّ العنفَ هو الذي سوفَ يميّزُ ما هو إنسانيّ عن سماتِ الحيوانيّةِ الّتي لا تعرفُ الأخلاقَ والتّقديسَ...؟! العنفُ كما وردَ في "المعجمِ الفلسفيِّ" لـ "جميل صليبا": "كلُّ فعلٍ يخالفُ طبيعةَ الشّيءِ، ويكونُ مفروضًا عليهِ، من خارجٍ فهوَ، بمعنًى ما، فعلٌ عنيفٌ... ولأنّ الإنسانَ مخلوقٌ ذو جسمٍ وعضلاتٍ، فإنّ أحدَ أشكالِ العنفِ الّتي يمكنُ تصوّرُها هي تنافسَ هذه العضلاتُ بهدفِ كبحِ حركةِ بعضِها البعض وكما يقولُ فرويد: " كانتِ القوّةُ العضليّةُ الأكثرُ تفوّقًا هي الّتي تقرّرُ من يملكُ الأشياءَ ومن تسودُ إرادتُهُ، وسرعانَ ما أضيفَ إلى القوّةِ العضليّةِ واستُعيضَ عنها باستخدامِ الأدواتِ: فالفائزُ هو من يملكُ الأسلحةَ الأفضلَ أو يستخدمُها بالطّريقةِ الأمهر. ومن اللّحظةِ الّتي أدخلتْ فيها الأسلحةُ بدأ التّفوّقُ العقليُّ يحلُّ محلّ القوّةِ العضليّةِ". اليومَ ونحنُ نعيشُ في وقتٍ لهُ شروطُهُ الكونيّةُ حيثُ الاستعمارُ والحربُ على المعنى الإنسانيّ نرى السّيادةَ لأهلِ الشرِّ عبرَ وسائلَ عدّةٍ، فهذهِ منظّمةُ التّجارةِ العالميّةِ وصندوقُ النّقدِ .. وهناكَ شبكةٌ دوليّةٌ لتجارةِ الأسلحةِ .. وهناك الماكنةُ الإعلاميّةُ الّتي تتلاعبُ بالعقولِ وتنشرُ أدواتِ العنفِ ليموتَ الحبُّ بينَ البشر (في الدّولةِ الواحدةِ) ويحلّ التّخريبُ والفتكُ بدل التّعاونِ والتآزر، إنّهُ عنفٌ فكريٌّ ووجدانيٌّ يقودُ طريقةَ حياتِنا وبالتّالي فالعدوّ يشيعُ (الكراهيّةَ فيما بيننا) فتتخلّى تلكَ الدّولُ الاستعماريّةُ عنْ غزونا عسكريًّا لنقومَ نحن بذلك كما يحصلُ في مصرَ اليومَ وسوريا ... ملامحُ العنفِ لها جذرُها الوجدانيّ الّذي يؤثّرُ في وسائلِ التّربيةِ وتلقينِ المعرفةِ وتبنّي العقيدةِ أو الانتماءَ الإيديولوجيّ، وكيف يمارسُ تأثيرُه في البعدِ الاقتصاديّ وهذه العاداتُ الجديدةُ في الاستهلاكِ وتسلّع الإنسان (جعلهُ سلعةً) ثمّ مظاهر العنفِ في العلاقاتِ الفطريّةِ الاجتماعيّةِ بين العائلةِ الواحدةِ حيثُ يأخذُ [الاحترامُ والحبُّ] إطارًا متجدّدًا على أساسِ أنّ الهيمنةَ ليستْ للأصلح بل للأقوى وهكذا نتلمسُ إخفاءَ العنفِ في ظاهرِ السّلوكِ ليصلَ العنفُ باطنَ وجوهرَ الوجودِ الإنسانيّ ..

في كلِّ حالةِ اجتماعٍ تفرزُ مظاهرَ للعدوانِ والشكِّ بنوايا الآخرِ والتّنافسِ فبعضُ النّاسِ ترى الإنسانَ ذئبًا لأخيه الإنسان - كما روّجَ نيتشه - أضفْ إلى ذلكَ حالَ غيابِ سلطةٍ عادلةٍ توزّعُ الأدوارَ بينَ النّاسِ وفقَ قانونٍ منهجيٍّ (الحقوقُ تبعًا للواجباتِ) هذا الغيابُ هو السّببُ في إشعالِ حالةِ حربِ الإنسانِ ضدّ الإنسان، ليبرّرَ العنفَ تحتَ ضروراتِ الحاجةِ للأمنِ والأمان، وبالتّالي نشأ مفهومُ (الدّولةِ) كحلٍّ قسريٍّ للتخلّصِ منَ العنفِ بينَ أيّ طبقتين: السّادةُ والعبيدُ، الغنيُّ والفقيرُ، الذكيُّ والغبيُّ، المؤمنُ والكافرُ، الحاكمُ والمحكومُ، المتقدّمُ والمتأخّرُ .. حيثُ أنّنا نشهدُ استغلالَ الإنسانِ للأرضِ وهو يطلبُ نفعَها (في الدّولةِ الحديثةِ) جعله يبرّرُ استغلالَ الإنسانِ لأخيهِ الإنسان.

وهكذا نرى شرعنةَ "العنفِ " تخرّبُ المنظومةَ الفطريّةَ للأخلاقِ الإنسانيّةِ وبالتّالي بثّ الفوضى الّتي تضربُ البُنيةَ التّحتيّةَ لعالمِنا اليومَ .. عنفُ القوانينِ أسّسَ عنفَ المؤسّساتِ حيثُ العولمةُ تؤجّجُ مبادئَ أخلاقيّةً لا علاقةَ لها بالمفهومِ الإنسانيّ ففيهِ التغالبُ بدل التّراحم ، وفيه يقومُ الجيشُ بإصلاحِ الوضعِ المتأزّمِ وليسَ رجلُ الدّينِ أو رجلُ السّياسةِ (كما يحصلُ في مصرَ) في علاقةٍ ملتبسةٍ بين مبرّراتِ العنفِ وجدواهُ .. فما الّذي يجبُ عمله؟ يسعفُنا (غاندي) وهو يحدّثُنا عن أعماقِنا الوجدانيّةِ حيثُ أنَّ اللّاعنفَ يشبهُ كثيرًا العنفَ في مستوى نيّةِ الفعلِ .. فمن ضربَني سأضربُهُ ومن سرقَ منّي السّلطةَ سأسرقُ منه السّلطة، وننسى جميعُنا أنّ الدّمَ لا يورثُ إلّا الدّمَ وأنّ النارَ لا تطفئُها النّارُ بل الماءُ!! وأنّ رفضَ العنفِ يتمُّ بالامتناعِ عنْ ممارستِهِ بالفعلِ أو بالنيّةِ مهما كانتِ المُبرّراتُ وكما قال سقراطُ (خيرٌ لنا أنْ نتحمّلَ الظّلمَ منْ أنْ نُمارسَه). وتحمّلُ الظّلم لا يعني الرّضوخَ والقبولَ بالظّلمِ والسّكوتَ عن الظالمين ..كما يشيّعُ البعضَ عن موقفِ المسيحِ عليهِ السّلامُ الذي ينصحُ الإنسانَ بأنْ يديرَ خدَّهُ الأيمنَ لمن يلطمُه على خدِّهِ الأيسرِ وهي مقولةٌ تخصّ المؤمنَ مع أخيهِ المؤمن، ولكنّ المسيحَ نفسَه رأيناه وهو يقلبُ الطّاولةَ ثائرًا على ظلمِ المرابين الذين يستغلون البسطاءَ من البشرِ ويستعمرونَهم اقتصاديًا .. في قلبِ السّوقِ كانت ثورةُ المسيحِ على الظلمِ فكانت مقولتُهُ الشّهيرةُ والّتي فُهمت بشكلٍ مقلوبٍ: (دعْ ما لقيصرَ لقيصرَ وما للهِ للهِ) وكأنّه يقولُ لنا أنّ استغلالَ القيصرِ وجنودِهِ للمجتمعِ المؤمنِ هو حالةُ إعلانِ حربٍ على الإيمانِ ذاتِهِ .. وبالتّالي كانَ ردُّ المسيحِ عمليًا وشجاعًا في فضحِ تلكَ السّياسةِ الماليّةِ ورفضِهِ موائدَ الرّبا على أبوابِ المعابدِ !!! هكذا يُقابلُ العنفُ المؤسّسيّ برؤيةٍ تفضحُ أساليبَ ذاك العنفِ وخفاياهُ .. وهي أوّلُ طريقٍ طويلٍ لكسبِ المعركةِ لصالحِ الوعي اللّاعنفيّ حيثُ السّلام بصورتِهِ الوجدانيّةِ .. وهذا ما بشّرنا به نبيّنا محمّدٌ صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ حينَ رفضَ أن يحيطَ عذابُ اللهِ بالكفّارِ من أهلِ الطائفِ بعدما آذوهُ وعلّلَ رفضَهُ بأملِ أنْ يخرجَ اللهُ من اصلابِ عدوّه من يؤمنُ بفكرةِ قبولِ الآخرِ وكسبِهِ لصالحِ الصفِّ المؤمنِ .. فالإسلامُ دينُ اللّا إكراهَ، دينٌ فيهِ الرّشدُ والغيُّ واضحانِ للعقلِ البشريّ وأنّ حريّةَ المعتقدِ مكفولةٌ يحرسُها القرآنُ نفسُه وقولُ اللهِ تعالى : (لا يجرمنّكم شنآنُ قومٍ على ألّا تعدلوا ..) وحيث أنّ القرآنَ يفرّقُ بينَ (الحبِّ) و(اللّا حبّ) رافضًا الكراهيّةَ والبغضاءَ أنْ تشيعَ بين النّاسِ وهم عبادُ اللهِ جميعًا.

تلاشي

الأديبة سُعاد محمود الأمين

يقفُ أمامَ المرآةِ المثبّتةِ على الخزانةِ الخشبيّةِ المتهالكةِ، الّتي تشارِكُهُ الحجرةُ الفارغةُ المعتمةُ، لا يجدُ ضوءُ الشّمسِ طريقُهُ إليها.

فجميعُ منافذِها مغلقةٌ بإحكامٍ، المرآةُ قد شُرخَ صفاءُها، فتلاصقتْ قطعٌ صغيرةٌ تحتمي ببعضِها من التّناثرِ..ينظرُ إلى هيئتِه، ثمّ يتحسّسُ قسماتِ وجهِهِ المتعدّدةِ، نزولًا عند جسدِه المقسّمِ، حتّى أسفلِ قدميهِ. يعتريهِ الهلعُ فينخرطُ في بكاءٍ طويلٍ:

ــ لمن كلُّ هذهِ الوجوهِ والأقدامِ؟!

كلّما أفلُ النّهارُ وهدأ الكونُ، عند راحةِ البدنِ تعتريه هواجسُ العدميّةِ، يحيطُ جانبي فمِه بيديهِ وينادي اسمَه بأعلى صوتِه:

ــ تيرنا...تيرنا...

فترجعُ الجدرانُ صدى صوتِه:

ــ ت ت ي ي رررن ن اا..

تنفرجُ أساريرُه ..فيتمتمُ

ــ هذا اسمي! إذن أنا موجودٌ.....

يصمتُ محدّقًا في الفراغِ:

ــ ولكن! من الذي يناديني؟

ثمّ يقفزُ متّجهًا نحوَ المرآةِ...ويبدأُ في التّلاشي.

إيماءاتُ اللّسانِ في القرآنِ

الدكتور عبد القادر مغدير

١ ـ نبراتُ الصّوتِ = طريقةُ التّلفّظِ:

ماذا أعني بنبراتِ الصّوتِ؟ أقصدُ بها طريقة الحديثِ، أو كيفيّة الإلقاءِ والأداءِ؛ فالإنسانُ حينما يتكلّم يُضمّنُ كلامَهُ رسالتَين:
الأولى: وتشتملُ على الألفاظِ والعباراتِ، وما تحملُهُ منْ معانٍ معجميّةٍ وسياقيّةٍ. الأخرى: وتشتملُ على النّبراتِ والنّغماتِ المصاحبةِ لهذهِ الألفاظِ والعباراتِ، وما تحملُهُ من إيماءاتٍ وإيحاءاتٍ.
والحاصلُ أنّ الرّسالةَ اللّفظيّةَ تحملُ إيماءاتٍ كثيرةً، وإيحاءاتٍ عديدةً تختلفُ باختلافِ نبرةِ الصّوتِ ونغمتِهِ، فالنّبرةُ السّريعةُ غيرُ البطيئةِ، والحادّةُ غيرُ السّلسةِ، والقويّةُ غيرُ الضّعيفةِ، والجافّةُ غيرُ اللّيّنةِ، والجهريّةُ غيرُ الخافتةِ، والمتقطّعةُ غيرُ المتسلسلةِ، والمكرّرةُ غيرُ الوحيدةِ. إنّ النبرةَ كالكلمةِ، فكما أنّ الكلمةَ لا يُفهمُ مغزاها إلّا من خلالِ سياقِها، فكذا النّبرةَ لا تُدركُ إلّا منْ خلالِ السّياقِ، وسياقُها وجهُ مرسلِها، وعيونُهُ، وشفاهُهُ، وسائرُ أعضاءِ جسمِهِ. كلّ هذهِ العناصرِ تتداخلُ لتُفهَمَ الرّسالةُ المبثوثةُ في نبراتِ الصّوتِ.
وإليكَ عَزيزي القارئ صورةً حيّةً جسّدتْ دلالةَ نبرةِ الصّوتِ في القرآنِ، قالَ تعالى: (فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ) [الأحزاب: ١٩]، في الظّلال : "فخرجوا من الجحورِ، وارتفعتْ أصواتُهم بعدَ الارتعاشِ، وانتفختْ أوداجُهم بالعظمةِ، ونفشوا بعد الانزواءِ، وادّعوا في غيرِ حياءٍ، ما شاءَ لهم الادّعاءُ، من البلاءِ في القتالِ والفضلِ في الأعمالِ، والشّجاعةِ والاستبسالِ".

٢ ـ خفضُ الصّوتِ:

قد يخفضُ الإنسانُ صوتَهُ إذا كانَ مريضًا، أو خائفًا، أو وقورًا، أو حييًّا، أو رزينًا وثابتًا، قال تعالى: (وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ) [لقمان: ١٩] قال سيد قطب : "والغضُّ منَ الصّوتِ فيهِ أدبٌ وثقةٌ بالنّفسِ واطمئنانٌ إلى صدقِ الحديثِ وقوّتِهِ. وما يزعقُ أو يُغلِظُ في الخطابِ إلا سيّءُ الأدبِ، أو شاكٌّ في قيمةِ قولِهِ أو قيمةِ شخصِهِ، يحاولُ إخفاءَ هذا الشكِّ بالحدّةِ والغلظةِ والزّعاقِ! والأسلوبُ القرآنيّ يرذلُ هذا الفعلَ ويُقبّحهُ في صورةٍ مُنفّرةٍ محتقرةٍ بشعةٍ حينَ يعقّبُ عليهِ بقولِهِ : "إنّ أنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ" .. فيرتسمُ مشهدٌ مضحكٌ يدعو إلى الهزءِ والسّخريةِ ، مع النّفورِ والبشاعةِ. ولا يكادُ ذو حسٍّ يتصوّرُ هذا المشهدَ المضحكَ من وراءِ التّعبيرِ المبدعِ، ثمّ يحاولُ .. شيئًا من صوتِ هذه الحمير ..!".
إذن في وصيّةِ لقمانَ لابنِهِ بغضّ الصوتِ دعوةٌ إلى الوقارِ والحياءِ والرّزانةِ، ونبذِ رفعِ الصّوتِ؛ لأنّهُ يدلّ على التسلّطِ والتجبّرِ، أو الانتقاصِ والاحتقارِ، أو التّفاهةِ والحقارةِ، أو الإزعاجِ والإقلاقِ، واللهُ سبحانَهُ شبّهَ الصّوتَ المنكرَ بصوتِ الحمارِ؛ لأنّ النفوسَ تستوحشُهُ وتنفرُ منهُ.

٣ ـ النّجوى :

والنّجوى أو المناجاةُ: الكلامُ الخفيّ بينَ شخصَيْن، أو الحديثُ السريّ الخافتُ، والأصلُ أنّ أكثرَ المناجاةِ بينَ النّاسِ لا خيرَ فيهَا إلّا منْ أمرَ بصدقةٍ أو معروفٍ أو إصلاحٍ، قال تعالى: (لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ) [النساء: ١١٤]. يلجأُ الإنسانُ إلى الحديثِ بصوتٍ خافتٍ إذا كانَ مريضًا، أو خائفًا، أو وقورًا، أو حييًّا، أو رزينًا وثابتًا، أو مناجيًا ربّهُ، قال تعالى: (فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ . أَلَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ) [القلم: ٢٣]، قال الرّازي : "أي يتسارّونَ فيما بينَهُم، وخفيَ وخفتَ و خفدَ ثلاثتُها في معنى كتمٍ ومنهُ الخفودُ للخفّاشِ، قالَ ابنُ عبّاس: غدوا إليها بصدفةٍ يسرّ بعضُهم إلى بعضٍ الكلامَ لئلّا يعلمَ أحدٌ من الفقراءِ والمساكينَ" ، وقال القرطبيّ : "أي يتسارّونَ؛ أي يخفونَ كلامَهم ويسرّونَه لئلّا يعلمَ بهمْ أحدٌ؛ قالَهُ عطاء وقتادة. وهوَ من خفتَ يخفتُ إذا سكنَ ولم يبيّنْ. كما قال دريدُ بن الصمّةِ:
وللطرفاتِ يومَ صفينَ لم يمتْ ** خُفاتاً ولا حُزناً عُدِيُّ بن حاتِمِ
وقيلَ: يخفونَ أنفسَهُم منَ النّاسِ حتّى لا يرَوْهُم."، وفي الظّلال : "وكأنّما نحنُ الّذينَ نسمعُ القرآنَ أو نقرؤُهُ نعلمُ ما لا يعلمُهُ أصحابُ الجنّةِ من أمرها . . أجلْ فقد شهدْنا تلكَ اليدَ الخفيّةَ اللّطيفةَ تمتدُّ إليها في الظّلامِ، فتذهبُ بثمرها كلّه. ورأيناهَا كأنّما هي مقطوعةُ الثّمارِ بعد ذلكَ الطّائفِ الخفيّ الرهيبِ ! فلنُمسِكْ أنفاسَنا إذنْ، لنرى كيفَ يصنعُ الماكرونَ المبيّتونَ".

٤ ـ الفوضى واللّغوُ:

يلجأُ الإنسانُ إلى الفوضى للتّعبيرِ عنْ رفضِهِ لموقفٍ أو حكمٍ أو شخصٍ، أو للتّنفيسِ عن المكبوتاتِ المتراكمةِ، أو للتّعبيرِ عن الفرحِ والسّرورِ، أو للتحيّةِ والتّكريمِ، أو للفتِ الأنظارِ، أو للتّشجيعِ، أو للسّخريةِ والاستهزاءِ، أو للحربِ النّفسيّةِ. ولقد وردتْ في القرآنِ آيتانِ عبّرتا عن موقفَيْنِ اثنين، وصوّرتَا نوعين من الفوضى:
أ ـ الفوضى المضلّةُ: قال تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لاَ تَسْمَعُواْ لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْاْ فِيهِ) [فصلت: ٢٦]. إنّ الإنسانَ قد يلجأُ إلى الفوضى والتّشويشِ واللّغطِ ورفعِ الصّوتِ محاولةً منه لئلّا يسمعَ ويتأثّرَ بما يسمعُ، وليفسدَ على المرسلِ، ويمنعَهُ من التّأثيرِ،

ا كانَ يفعلُه الكفّارُ حينَما يقرأ عليهم النبيُّ صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ القرآنَ، "وقالَ مجاهد: المعنى { وَالْغَوْا فِيهِ }

القرآنُ يصوّرُ لنا هذا المشهدَ تصويرًا واقعيًّا حيًّا، قال تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لاَ تَسْمَعُواْ لِهذا الْقُرْآنِ وَالْغَوْاْ فِيهِ) [فصلت: ٢٦]، قال الشعراوي : "فكأنّهم تواصَوْا بالتّشويشِ على القرآنِ ثقةً منهم في أنّ القرآن لو تَناهى إلى الأذنِ فقدْ يؤثّرُ في نفسيّةِ السّامع؛ لأنّ النّفسَ البشريّةَ أغيارُ، وقدْ تأتِي للنّفسِ ما يجعلُها تميلُ دونَ أنْ يشعرَ صاحبُها. ولو كانَ هذا القرآنُ باطلًا، فلماذا خافُوا من سماعِهِ ؟ ولكنّهُ الغباءُ في العنادِ والكفر".
قال القرطبيّ : "وقال مجاهد: المعنى والغوا فيهِ بالمكاءِ والتّصفيقِ والتّخليطِ في المنطق حتّى يصيرَ لغوًا. وقال الضحّاك : أكثِروا الكلامَ ليختلط عليهِ ما يقولُ. وقال أبو العالية وابن عباس أيضا : قعوا فيهِ وعيبوهُ لعلّكم تغلبونَ محمّدًا على قراءتِهِ فلا يظهرُ ولا يستميلُ القلوبَ".
ب ـ الفوضى المجدية: قال تعالى: (وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا) [الإسراء: ٦٤]، في الظلال : "وهو تجسيمٌ لوسائلِ الغوايةِ والإحاطةِ، والاستيلاءِ على القلوبِ والمشاعر والعقول، فهي المعركةُ الصاخبةُ، تستخدمُ فيها الأصواتُ والخيلُ والرجلُ على طريقةِ المعاركِ والمبارزاتِ. يرسلُ فيها الصّوتُ فيزعجُ الخصومَ ويخرجُهم من مراكزهم الحصينةِ، أو يستدرجُهم للفخِّ المنصوبِ والمكيدةِ المدبّرةِ. فإذا استُدرجوا إلى العراءِ أخذتهم الخيلُ، وأحاطتْ بهم الرّجالُ! ٥ ـ فلتاتُ اللّسان
قال تعالى: (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ * وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ) [محمد: ٢٩- ٣٠]
قدْ لا ينضبطُ الإنسانُ في كلامِهِ، ويفلتُ منهُ لسانُهُ، ولا يستطيعُ إلجامَه ، وذلكَ إذا كانَ مغرورًا بنفسِهِ، معجبًا بها، متخيّلًا نفسَهُ فوقَ المساءلةِ والمحاسبةِ، أو كانَ محبًّا للظهورِ والبروز، فيتّخذ من الوقاحةِ مسلكًا ليصلَ منهُ إلى مآربهِ، ظنًّا منهُ أنّه جرأةٌ وشجاعةٌ لم يؤتَها غيرُهُ، أو كانَ حاقدًا مندسًّا ومتنكّرًا يحاولُ إخفاءَ ما يضمرُهُ من الحقدِ والكراهيةِ وتفضحُهُ فلتاتُ لسانِهِ، ونظراتُ عيونِهِ، وتعابيرُ وجههِ، قيل في الحكمةِ: "ما أضمرَ أحدُكم شيئًا إلّا أظهرَهُ اللهُ في فلتاتِ لسانِه، وصفحاتِ وجههِ"، وقال يحيى بن معاذ: "القلوبُ كالقدور تغلي بما فيها، وألسنتُها مغارفُها".
وفي القرآن الكريم تصويرٌ حيّ لهذهِ الفئةِ الّتي كرهتِ المسلمينَ، وحقدتْ عليهم، وسعتْ للقضاءِ عليهم في الخفاءِ، وتظاهرتْ لهُم بالحبّ والولاءِ، قال تعالى: (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ . وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ) [محمد: ٢٩- ٣٠]، قال السعديّ : "أي: لا بدّ أنْ يظهرَ ما في قلوبهم، ويتبيّن بفلتاتِ ألسنتِهم، فإنَ الألسنَ مغارفُ القلوبِ، يظهرُ منها ما في القلوبِ من خيرٍ أو شرٍّ"، وفي الظلال : "ومع ذلك فإنّ لهجتَهم ونبراتِ صوتِهم، وإمالتَهم للقولِ عن استقامتِه، وانحرافَ منطقِهم في خطابك سيدلّك على نفاقِهم"، وقال ابنُ كثير : "أي: فيما يبدو من كلامِهم الدالّ على مقاصدِهم يَفهَم المتكلّمُ من أيّ الحزبين هوَ بمعاني كلامِه وفحواهُ، وهو المرادُ من لحنِ القول، كما قال أميرُ المؤمنينَ عثمانُ بنُ عفّانَ رضيَ اللهُ عنهُ: ما أسرَّ أحدٌ سريرةً إلّا أبداها اللهُ على صفحاتِ وجههِ ، وفلتاتِ لسانِهِ، وفي الحديث: "ما أسرّ أحدٌ سريرةً إلّا كساهُ اللهُ تعالى جِلبابَها إنْ خيرًا فخيرٌ، وإنْ شرًّا فشرٌّ".
***

في ظلال القرآن: ٥/٢٨٤٠ .
نفسه: ٥/٢٧٩٠.
تفسير الرازي: ٢٩/٧٨- ٧٩ .
تفسير القرطبي : ١٨/٢٤٨ .
البيت من الطويل، وهو في ديوانه : ص ٢٨٠ .
في ظلال القرآن: ٦/٣٦٦٥ .
تفسير القرطبي: ١٥/٣٥٦.
تفسير الشعراوي : ١٠/٢٠١ .
تفسير القرطبي: ١٥/٣٥٦ .
في ظلال القرآن: ٤/٢٢٣٩ .
تفسير السعدي : ١/٧٨٩ .
في ظلال القرآن : ٦/٣٢٩٨ .
تفسير ابن كثير : ٧/٣٢١ .
أسر: كتم السر، وأضمره في نفسه. ملامح وجهه.
فلتات: جمع فلتة، وهي الزلة أو الهفوة، وهي وقوع الأمر بغتة من غير اختيار، ولا تروٍ وتدبر.

سَلِّمْ عَلَى الدّنيَا

رِيْحُ الـــــبَلادَةِ تَسْتَفِزُّ الأَشْرِعَهْ ... فُتَزِيْغُ أُفْئِدَةٌ وَتَسْقُطُ أُقْنِعَهْ
لُيْلُ الخُطَايَا رَانُ حَتّى لُمْ يَدَعْ ... نَجْمًا بِهِ إِلاّ وَضَيّعَ مَطْلَعَهْ
فِي الـــــيَمِّ تَابُوْتٌ يُصَارِعُ مَوْجَهُ ... لُمْ يُلْتَقَطْ كُلٌّ يُرَاقِبُ مَصْرَعَهْ
مَا مِنْ عَصًا سِحْرِيّةٍ، كُمْ مُدّعٍ ... مَا زَالُ يَسْتَجْدِي عَصَاهُ لِتَنْفُعَهْ
أُسْرَى بِهِ حُلْمُ الـــوُصُوْلِ بِغَيْرِ زَا ... دٍ رِحْلَةُ الأَحْلامِ أُكْبَرُ مَضْيَعَهْ
بَيْـــنَ الدُّرُوْبِ تَدَاخَلَتْ كُلُّ الجِهَا ... تِ تَوَسّدَتْ قُلُقَ الـــفُصُوْلِ الأَرْبَعَهْ
هَرَجٌ وَمَرَجٌ لُيْسَ يُدْرَكُ كُنْهُهُ ... لُكِنّهُ نُذُرٌ تَلُوْحُ مُرَوِّعَهْ
نُذُرٌ عَلَى بَابِ الـــنّهَى تَغْشَاهُ تَقْـ ... ـــــرَعُهُ وَتُوْشِكُ فُجْأَةً أَنْ تَقْلَعَهْ
وَالـــنّاسُ تُذْعِنُ لِلـــهَوَى بَعْضٌ يُجَـ ... ـدِّفُ فِي الفُرَاغِ سُدًى وَبَعْضٌ إِمّعَهْ
يَمْشُوْنَ خَلْفَ مُجَوّفٍ مُتَغَطْرِسٍ ... شَغَلُ الـــزّمَانُ وَلُمْ يُجَاوِزْ إِصْبَعَهْ
رَكْضٌ بِلا وَعْيٍ لُهَاثٌ يَحْتَسِي ... نَخْبَ الـــغُبَارِ وَلِلْأَمَانِي صَوْمَعَهْ
صُوَرٌ تُثِيْرُ الخَوْفَ تَبْتَزُّ الـــرُّؤَى ... كُلٌّ يُجَمّلُ فِي الـــوَرَى مُسْتَنْقَعَهْ
لُمْ يَبْقَ مِنْ مَاءِ الحَيَاءِ سِوَى بَقَا ... يَا قُطْرَةٍ وَيْلاهُ مِمّنْ وَدّعَهْ
مَا قِيْمَةُ الإِنْسَانِ وَجْهًا مُشْرِقًا ... إِنْ بَاتَ نَفْسًا بِالـــضّغَائِنِ مُتْرَعَهْ
مُذْ عَزّ رُشْدٌ وَاسْتَحَالُتْ حِكْمَةٌ ... تَخِذُ الجُنُوْنُ مِنَ الجَوَانِحِ مَرْتَعَهْ
سَلِّمْ عَلَى الـــدّنْيَا إِذَا هِيَ سَلّمَتْ ... طُوْعًا لِـــمَنْ لا شَيْءَ مِنْ خُلُقٍ مَعَهْ

شعر : عيسى جرابا

القرآنُ والصّيامُ

الدّكتورة ألماسة نور اليقين

عن عبدِ اللهِ بن عمرو _رضيَ اللهُ عنهُ_ أنّ رسولَ اللهِ _صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ_ قالَ: "الصّيامُ والقرآنُ يشفعانِ للعبدِ يومَ القيامةِ، يقولُ الصّيامُ: أيْ ربِّ، منعتُهُ الطّعامَ والشّهواتِ بالنّهارِ فشفّعني فيهِ، ويقولُ القرآنُ: منعتُهُ النّومَ باللّيلِ فشفّعني فيهِ قالَ: فيشفعان".

إنّ بينَ القرآنِ والصّيامِ علاقةً متينةً، فمن أعظمِ وأهمّ الحِكمِ من مشروعيّةِ صيامِ نهارِ رمضانَ هو تهيئةُ القلبِ لتدبّرِ القرآنِ حينَ القيامِ بهِ في اللّيلِ، والمشاهد أنّ كثيرًا منَ النّاسِ يفوّتونَ على أنفسِهم هذهِ المصلحةَ العظيمةَ حينَما يُسرفونَ في الطّعامِ والشّرابِ وقتَ الإفطارِ والعشاءِ.

لقدْ أثبتَ الطبُّ الحديثُ، والطبُّ البديلُ أهميّةَ الصّيامِ لصفاءِ القلبِ وقيامِهِ بوظائفِهِ الماديّةِ والمعنويّةِ.

ولا أريدُ التّفصيلَ في هذهِ القضيّةِ، فالمقامُ لا يسمحُ لكنّي أرشدُ إلى بعضِ المراجعِ، وإنْ كنتُ على يقينٍ من حكمةِ تشريعِ الصّيامِ بدونِ عناءِ الرّجوعِ إلى تلكَ الكتبِ وصرفِ الوقتِ والجهدِ في قراءتِها يكفينا في هذا قولُ اللهِ _تعالى_: "وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ" (البقرة: من الآية ١٨٤) إنّها رسالةٌ من ربِّ العالمينَ تحملُ الكثيرَ والكثيرَ منَ الإشاراتِ والإرشاداتِ.

إنّ اللهَ _تعالى_ يقرّرُ لنا هذهِ القاعدةَ العظيمةَ: أنّ الصّيامَ خيرٌ لنا، وإنّ منْ بعضِ خيرهِ ما تمّ إثباتُهُ بالتّجاربِ المخبريّةِ ومنْ تجاربِ العلماءِ الّذينَ يؤكّدونَ على أهميّةِ هذه العلاقةِ بينَ الصّيامِ وبينَ التّفكيرِ والفهمِ والتدبّرِ إنّ شواهدَ صحّتِها وأقوالَ أهلِ التّجربةِ وأحوالَهم من علماءِ المسلمينَ وغيرِ المسلمينَ لا يتّسعُ لهُ كتابٌ، وما لمْ ينقلْ عنهُم منْ أقوالٍ وأحوالٍ أكثرُ وأكثرُ، فالقليلُ منهُم عبّرَ عن حالِهِ وذكرَ ما وجدَ وغيرهم كثيرٌ وجدَ ولمْ يذكرْ.

فإنْ أردتَ حقًّا تدبّرَ القرآنَ والتأثّرَ بهِ فعليكَ بهذا المفتاحِ العجيبِ، وخاصّةً في رمضانَ إنّهُ الصّيامُ، الصّيامُ الصّحيحُ الّذي يحرصُ فيه الصّائمُ على تطبيقِ ما جاءَ في حديثِ المِقدامِ بن مَعْدي كرب قالَ: سمعتُ رسولَ اللهِ _صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ_ يقولُ: "ما ملأ ابنُ آدمَ وعاءً شرًّا من بطنٍ، بحسبِ ابنِ آدمَ لقيماتٌ يقِمْن صُلبَهُ، فإنْ كانَ لا محالةَ فثُلثٌ لطعامِهِ، وثلثٌ لشرابِهِ، وثلثٌ لنَفسِهِ" رواهُ الأئمّةُ أحمد والترمذيّ والنسائي وابن ماجه، وقال الترمذيّ: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

وهذا الحديثُ أصلٌ جامعٌ لأصولِ الطبِّ كلّها، وقد روى أنّ ابن أبي ماسويه الطّبيبَ لمّا قرأ هذا الحديثَ في كتابِ أبي خُيثمة قالَ: لو استعملَ النّاسُ هذه الكلماتِ لسلموا من الأمراضِ والأسقامِ، ولتعطّلتِ المارشاياتُ ودكاكينُ الصيادلةِ.

ليس معنى الصّومِ أنْ تمسكَ عن الطّعامِ والشّرابِ مدّةً ثمّ تلتهمَ أضعافَ ما أمسكتَ عنهُ؛ هذا بكلِّ تأكيدٍ ليسَ صومًا نافعًا.

إنّ الصّومَ الّذي ينفعُ صاحبَهُ هو ما يقترنُ معهُ عدمُ الشّبعِ حالَ الإفطارِ، إنّ بعضَ الشّبابِ يقولُ: قدْ صمتُ فما وجدتُ الوجاءَ الّذي أخبرَ بهِ النبيّ _صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ_؟ نقولُ: نعمْ إنْ كنتَ في وقتِ فطركَ تتقاضى منْ وقتِ صومِك وتردّ الصاعَ صاعين، فهذا ليسَ بصومٍ على الحقيقةِ، بلْ هوَ إرهاقٌ للبدنِ وتعذيبٌ لهُ؛ لأنّ الهدفَ منَ الصّومِ حمايةُ الجسدِ عامّةً والقلبِ خاصّةً من سمومِ الأطعمةِ والأشربةِ، وهذا معنى قولِ النبيّ _صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ_: "فإنّه لهُ وجاءٌ" ذلكَ أنّ القلبَ إذا استراحَ من سمومِ الأطعمةِ صفا ورقّ.

قال المروزي: قلتُ لأبي عبدِ اللهِ: يجدُ الرّجلُ من قلبهِ رقّةً وهوَ شبعٌ قالَ: ما أرى، وروى ابنُ أبي الدنيا في كتابِ الجوعِ بإسنادِهِ عنْ نافع عن ابنِ عمرَ قالَ: "ما شبعتُ منذُ أسلمتُ"، وروى بإسنادِهِ عن محمّد بن واسع قالَ: "من قلّ طعمُهُ فهمَ وأفهمَ وصفا ورقّ، وإنّ كثرةَ الطّعامِ ليثقل صاحبهِ عن كثيرٍ مما يريدُ"، وعن أبي سليمانَ الداراني قال: "إذا أردتَ حاجةً من حوائجِ الدّنيا والآخرةِ فلا تأكلْ حتّى تقضيَها، فإنّ الأكلَ يغيرُ العقلَ"، وعن قثم العابد قال: "كان يقال: ما قلّ طعمُ امرئٍ قطّ إلّا رقّ قلبُهُ وندیتْ عيناهُ"، وروى أيضًا بإسنادِهِ عن أبي عمران الجونيّ قالَ: "كانَ يقالُ: منْ أحبّ أنْ ينوّرَ قلبُهُ فليقلّ طعمَهُ"، وعن عثمان بن زائدة قال: "كتب إليّ سفيانُ الثوريّ: إنْ أردتَ أنْ يصحَّ جسمُكَ ويقلّ نومُك فأقللْ منَ الأكلِ"، وعن إبراهيمَ بن أدهم قال: "من ضبطَ بطنَه ضبطَ دينَه، ومن ملكَ جوعَه ملكَ الأخلاقَ الصالحةَ، وإنّ معصيةَ اللهِ بعيدةٌ منَ الجائعِ قريبةٌ من الشّبعانِ، والشّبعُ يميتُ القلبَ، ومنه يكونُ الفرحُ والمرحُ والضحكُ"، وقال أبو سليمان الداراني: "إنّ النفسَ إذا جاعتْ وعطشتْ صفا القلبُ ورقّ، وإذا شبعتْ ورويتْ عميَ القلبُ"، وقالَ: "مفتاحُ الدّنيا الشبعُ، ومفتاحُ الآخرةِ الجوعُ"، وقالَ الحسنُ بنُ يحيى الخشنيّ: "من أرادَ أنْ يغزرَ دموعَه ويرقّ قلبُهُ فليأكلْ وليشربْ في نصفِ بطنِهِ". وقال أحمدُ بنُ أبي الحواريّ: فحدّثتُ بهذا أبا سليمان فقالَ: إنّما جاءَ الحديثُ "ثلثُ طعامٍ، وثلثُ شرابٍ" وأرى هؤلاء قد حاسبوا أنفسَهم فربحوا سدسًا، وعن الشافعيّ قالَ: ما شبعتُ منذُ ستّةَ عشرَ سنةً إلّا شبعةً أطرحها؛ لأنّ الشّبعَ يثقلُ البدنَ ويزيلُ الفطنةَ ويجلبُ النّومَ ويضعفُ صاحبَهُ عن العبادةِ، وقالتْ عائشةُ _رضيَ اللهُ عنها_: "أوّلُ بدعةٍ حدثتْ بعدَ رسولِ اللهِ _صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ_: الشّبعُ، إنّ القومَ لما شبعتْ بُطونُهم جمحَتْ بها نفوسُهم إلى الدّنيا".

أقوالٌ أعْجَبَتْني

ناديّة محمّد الجابي

مِنْ أجملِ ما قيلَ في المرأةِ :
*** قال المُصطفى عليهِ الصّلاةُ والسّلامُ: "استوصوا بالنّساءِ خيرًا".**
قالَ حكيمٌ: سألَني رجلٌ ذاتَ يومٍ، "ما معنى امرأة؟"، فابتسمتُ وقلتُ: هيَ لوحٌ من زجاجٍ شفّافٍ فترى دواخلَها، إنْ مسحتَ عليهِ برفقٍ زادتْ لمعتُهُ ـ ترى فيهِ شيئًا من صورَتِكَ، وكأنّها تُخفي صورَتَكَ داخِلَها في خجلٍ، وإنْ كسرتَهُ يومًا يصعبُ عليكَ جمعُ أشلائِهِ، وإن جمعتَها لتُلصِقها بانَتْ ندوبُهُ، وفي كلِّ مرّةٍ تمرّر يدُكَ على النّدبِ ستجرح يدَكَ.
*** قالَ الأميرُ طلالُ الرّشيدُ _رحِمَهُ اللهُ_: لوْ خُلِقتْ المرأةُ طائرًا لكانتْ طاووسًا،ولوْ خُلقت حيوانًا لكانتْ غزالةً، ولوْ خُلقت حشرةً لكانت فراشةً، ولكنّها خُلقت بشرًا، فأصبَحَتْ حبيبةً وزوجةً وأمًّا رائعةً, وأجملَ نعمةٍ للرّجلِ على وجهِ الأرض. فلوْ لمْ تكنْ المرأةُ شيئًا عظيمًا جدًّا، لما جعلَها اللهُ حوريّةً يكافئُ بها المؤمنَ في الجنّةِ.**
*** حقيقةٌ أعجبَتني:**
المرأةُ أرقُّ الكائناتِ وأصعبُها تعاملًا، لدرجةِ أنّ وردةً تُرضيها وكلمةً تقتُلُها.....
كُنْ حَذِرًا أيّها الرّجلُ أنْ تجعلَ المرأةَ تَبكي، لأنّ اللهَ يُحصي دمعتَها، فهي خُلقتْ مِنْ ضلعِكَ، وليسَ منْ قدمِكَ لتمشي عَليْها، ولَا منْ رأسِكَ لكيْ تتعالى عليْها،ولكنْ خُلقتْ منْ جانبِ ضلعِكَ كيْ تَتَساوى بكَ، ومنْ جانبِ قلبكَ كيْ تحبّهَا
*** يقولُ أحدُ الكتّابِ الرّوس على لسانِ قطعةِ الجليدِ: قالتْ قطعةُ الجليدِ وقدْ مسّها أوّلُ شعاعٍ منْ أشعّةِ الشّمس، في مُستهلِّ الرّبيع: أنا أحبُّ، وأنا أذوبُ، وليسَ في الإمكانِ أنْ أحبَّ وأبقى معًا, فإنّهُ لا بُدّ منَ الاختيارِ بينَ أمرين: وجودٌ بدونِ حبٍّ, وهذا هوَ الشّتاءُ القارسُ الفظيعُ، أو حبٌّ بدونِ وجودٍ, وذلكَ هو الموتُ في مطلعِ الرّبيع.**
هذهِ هي المرأةُ تذوبُ ليحيى الآخرينَ.
*** يقولُ جبران خليل جبران واصفًا محبوبَتَهُ: هيَ روحٌ عانقتْ روحِي وقلبٌ سكبَ أسرارَهُ في قلبي، ويدٌ أوقدتْ شعلةَ عواطِفي.**
*** يصفُ الحصريّ محبوبتَهُ: هيَ روضةُ الحسنِ, وضرّةُ الشّمسِ, وبدرُ الأرضِ، مطلعُ الشّمسِ منْ وجهِهَا، نَبْتُ الدرّ منْ فمِها، مبادئُ اللّيلِ منْ شعرِها، ملقطُ الوردِ منْ خدّها، هيَ أجملُ منْ روعةِ الفجرِ، وأندى على قلبي منْ أنفاسِ الصّباح، تخطرُ كما تخطرُ النّسمةُ المعطّرةُ، فتملأُ القلبَ حبًّا, وتُشيعُ في الحبِّ سعادةً.**
*** مقتطفاتٌ منْ أسطورةٍ هنديّةٍ:**
المرأةُ بالنّسبةِ للرّجلِ، مرآةٌ ينظرُ منْ خلالِها إلى مجدِهِ، ووسادةٌ يتّكئُ عليْها وهوَ تَعِبٌ، وقناعٌ يختبئُ وراءَهُ وهوَ تَعِسٌ، وفكرةٌ تستفزُّهُ فيبدع، ومنارةٌ يهتدي بها.
*** يقولُ أحدُ العظماءِ:**
المرأةُ في البيتِ زهورٌ ذاتُ عطورٍ بلْ نورٌ على نورٍ.
*** يقول جبران خليل جبران:**
إنّ قلبَ المرأةِ لا يتغيّرُ معَ الزّمن, ولا يتحوّلُ معَ الفصولِ. قلبُ المرأةِ ينازعُ طويلًا, ولكنّهُ لا يموتُ.
قلبُ المرأةِ يشابهُ الصّحراءَ الّتي يتّخذُها الإنسانُ ساحةً لحروبهِ ومذابحِهِ, فهوَ يقتلعُ أشجارَها, ويحرقُ أعشابَها, ويلطّخُ صُخورَها بالدّماءِ, ويغرسُ تربتَها بالعظامِ والجماجمِ, ولكنّها تبقى هادئةً ساكنةً مطمئنّةً، ويبقى فيها الرّبيعُ ربيعًا, والخريفُ خريفًا إلى نهايةِ الدّهور.
*** يقولُ ميخائيل نعيمة :**
ما ظهرتْ امرأةٌ صالحةٌ على وجهِ الأرضِ إلّا أصلحتْ رجالًا كثيرينَ, وما دامتِ البشريّةُ على الأرض, فستبقى المرأةُ حضنَها الرّحبَ, وساعدَها الحنونَ, وقلبَها النّابضَ.
فالرّجُلُ والمرأةُ جناحا طائرٍ واحد هو البشريّة.
*** يقولُ أحدُ الحكماءِ: المرأةُ هيَ الصّدرُ الّذي يحنو حينَ تجمدُ كلُّ الصّدور، والعينُ الّتي تجودُ وقدْ جفّتْ كلُّ العيون، والقلبُ الّذي يحبُّ إذا انفضّتْ كلُّ القلوبِ.**
*** يقولُ أحدُ الحكماءِ:**
قدْ يستغني الرّجلُ عنْ ألفٍ, ولكن لا يستغني ألفٌ عنِ امرأةٍ.

يغضبون...

الأديبة كاملة بدارنة

لا يدري كم مرّ من الوقتِ، وهو يركض حتّى وصل أعلى التّلّةِ بعد أن شتمَه أبوه ولعنَه ونعتَه بالفاشلِ، بعدما ظهرت نتائجُ امتحاناتِ إنهاءِ المرحلةِ الثّانويّةِ التي لا تؤهّله لدخولِ الجامعةِ، وتحقيق أمنيّةِ أبيه بأن يصبحَ محاميًا، في حين حصل أخوه على التّفوّق في دراسةِ موضوعِ الطّبِ، وفاز بمنحةِ التّعليمِ على حسابِ الدّولةِ!. جلس مسندًا ظهره إلى جذعِ إحدى شجيراتِ السّنديان البريّة، يحرّكُ ترابَ وحجارةَ المكانِ برجليه اللّتين لم تتوقفا عن المدّ والثّني، ويدُه ترمي بالحصى، وكأنّه يرجمُ ماضيهِ، وينبشُ بقدميهِ عمقًا أفضل من سطح حياتِه... لم تغادرْ صورُ طفولتِه مخيّلتَه، وهو يدخلُ إلى البيتِ حاملًا نتائجه، بعد انتهاءِ كلّ فصل تعليميّ، ورجلاه اللّتان أعلنتا الآن التّمرّدَ والحربَ، قد كانتا ترتجفان تحتَه، وأحيانًا لم تقويا على حملِه حينَ يتخيّلُ انعقادَ حاجبيّ والدِه على الجبينِ النّحاسيّ الذي لفحته الشّمسُ لكثرةِ وقوفِه ساعاتٍ طويلة؛ لتوفيرِ الحياةِ الرّغيدةِ، وتحقيق الأمانيّ السّعيدةِ التي يرغبُ فيها أولادُه... كان يضعُ حقيبتَه في غرفةِ استراحةِ العائلةِ؛ لئلّا يُتّهمَ بإخفاءِ نتائج تحصيلِه، ويذهب إلى غرفةِ نومِه مرتعدَ الفرائص خوفًا من صراخ أبيهِ في وجهه، متذكّرًا كلامَ زملائِه بسخريةٍ: اليوم يوم العصيّ فاستعدّ... وكان يغيظُه أنّ والدتَه لم تكنْ تتعاطف معه كباقي الأمهّات، بل كانت تساندُ زوجَها بطريقةٍ غير مباشرةٍ قائلةً: لو بذلتَ جهدًا مثل أخيكَ لحصلتَ على علاماتٍ أفضل، ونجوتَ من الإهانةِ وحرمانِك من الرّحلةِ الصّيفيّةِ. هداكَ اللهُ يا بنيّ!. ظلّ طويلًا يلقي بنفسِه في جبِّ الذّكرياتِ، ويخرجُها منهُ أكثرَ تألّمًا وزيادةً لمشاعر السّخطِ والحقدِ على أبيهِ، بل على جميع أفرادِ العائلةِ. فهو لم يجدْ في البيتِ سوى قطّته التي كانت تموءُ كلّما أحسّت بحزنِه، واقتربت منه مصرّةً على أن يلحقَ بها؛ لتخرجَه إلى حديقةِ المنزل. عند تذكّرها استطاعتْ ذكراها شحنَه بشعورٍ بعَثَ فيه بعضَ فرحٍ خفّفَ عنهُ ثقلَ أرطالِ الغضبِ التي أثقلتْ على صدره وكيانِه. شارفتْ الشّمسُ على المغيبِ، ولم يرغبْ بالعودةِ إلى البيتِ. وبالأحرى لا يجرؤ؛ لتأكّدِه بأنّ أباه ستزدادُ سورةُ غضبه، حيث لا يعقل أن يتغيّبَ ساعاتٍ طويلةً دونَ إذنٍ منهُ. لم يراوحْ مكانَه، وحجارةً وترابَ الحيرةِ اللذين نبشهُما غضبُه، يتجاذبانه تارةً بتشجيعِه بملازمةِ المكانِ، وأخرى بإغرائِه بالعودةِ إلى البيتِ. ففيه - على الأقلّ يجدُ طعامَه وشرابَه ومأواه- خاصّة وأنّ أمعاءَه قد بدأ يعتصرُها الجوعُ، وأعلنتْ قرقرتها احتجاجًا ونداءً لملئِها. وفيما الحيرةُ تنهشُ عقلَه وروحَه، وإذ بصدى قهقهاتٍ يقتربُ رويدًا رويدًا...لتقفَ أمامَه مجموعةٌ من الشّبان، فاجأهم وجودُه في المكانِ وحيدًا، وقد مالتِ الشّمسُ للغروبِ. لم يعرْهم اهتمامًا - مع أنّ أحدَ الوجوهِ بدا مألوفًا له وتذكّرَ أنّهما كانا في المدرسةِ نفسِها - وحاولَ أن يبدوَ طبيعيًّا. لكنّ المساحةَ التّرابيّةَ تحتَ قدميهِ توحي أنّها شهدتْ معركةً برجليهِ، وأنّ الأمرَ جللٌ، وحالُ الشّاب لا يسرُّ!. فأشفقوا عليه.. ودعاه أحدُهم- بعد أخذِ موافقةِ (التّلّةِ) - إلى مرافقتِهم. فهُم قد جاءوا ليحتفِلوا اللّيلة؛ فرحًا بإنهاءِ المرحلةِ الثّانويّةِ، والتّخلّص من مآسي الامتحاناتِ!.

أظهرَ بعضَ تردّدٍ، ولكنّ إلحاحَهم وتودّدَهم شجّعاهُ على مرافقتِهم. ساروا بضعَ دقائق، وقد سطر الصّمتُ حروفَه عليهم، وكأنّهم أرادوا إمتاعَ آذانِهم بأصواتِ الطّيور التي تبحثُ هي الأخرى عن مبيتٍ لها. كُسر حاجزُ الصّمتِ لدى رؤيةِ بابِ المغارةِ بإعلانِهم عن الوصولِ حيثُ يريدون. انقبضتْ أساريرُ وجهِه، وازدادَ خفقانُ قلبه حينَ تخيّلَ ظلمةَ المغارةِ. فهو يخافُ من الأماكنِ المظلمةِ!. انتبهَ أحدُهم لتباطؤِ مشيتِه، فاقتربَ منهُ داعيًا إيّاهُ للدخولِ معًا إلى البيتِ الجديدِ. أشعلوا الشّموعَ، وأخرجوا ما جلبوه لتحضيرِ وليمةٍ احتفاليّةٍ... ثمّ همّوا بخلعِ ثيابهم، وارتداءِ ملابس خاصّة ظهرت عليها رسوماتٌ غريبةٌ وعجيبة، زادت من خوفه لمّا تساقطت الأضواءُ عليها. ألقي عليه ثوبٌ وطُلِب منه ارتداؤه، وخوفًا من أن يتّهمَ بالجبنِ، أجبرَ نفسَه على الرّضوخِ لطلبهم. تحلّقوا حولَ شموعِ الشّمعدان الذي نصبوه في وسطِ الأرضيّةِ، وبدأوا بالرّقصِ والدّوران مردّدينَ بعضَ الكلماتِ، في طقسٍ أشبه بطقوسِ الجنّ التي شاهدَها في بعضِ الأفلامِ المرعبةِ... ثمّ دعوه أثناء دورانهم ليدورَ معهم. بدَوا منهكين بعدما تراموا على بعضِهم كالسّكارى، ولكنّهم سرعانَ ما قاموا لتحضيرِ وجبةِ العشاءِ. بعد ملءِ بطونِهم، استأذنَ أضخمُهم؛ ليُحضر لهم الشّرابَ الذي ينعشُهم. وأثناءَ نهوضِه وضع كفّه مربّتا على كتفِ الضّيفِ، داعيًا إيّاه لحديثٍ جانبيّ قبلَ

أن يتركَهم لإحضار مشروبهم المفضّل. كادَ يصعق لهول ما سمعَ... أحسّ بثقل الطّعامِ في معدته التي ملأها بعد خواء... وها هو رأسه يكادُ ينفجر، وعيناه تبحلقان، ويزيد من اتّساع حدقتيهما الضّوءُ الخافتُ. شَعَرَ محدّثه بحاله، فسارع لاحتضانِه قبل أن يقعَ أرضًا، وأبعده قليلًا عن مرأى العيون؛ مستفسرًا عن سببِ وجودِه حيثُ صادفوه، فهو مكانٌ خاصٌّ بالمجموعةِ، ونادرًا ما يمرّ أحدٌ من هذا المكان. اضطرّ لإخباره بحقيقةِ الأمر، وما يعانيهِ من ظلمٍ وقهرٍ وتقييدٍ لحرّيّتِه!...فتضاحك في سرّه وهمسَ له مُطمْئِنا: وصلتَ للعنوان الصّحيح. هنا الحريّةُ والتّخلّصُ من كلّ عبوديّةٍ قد أوجدَها بشرٌ منذُ الأزل... ابقَ معنا، وستنال ما تحبّ وتريدُ... نحن عائلتُك الجديدةُ! وإذ انضممت إلينا، فلا مجال للابتعاد قبل الإدلاء بيمين القسم على حفظِ السّرِّ وصون العهدِ، وسيكونُ ذلك اللّيلة. وأمسك بيدِه ليعودا إلى الرّفاق. تراءت أمامَه صورةُ أبيهِ، وبركانُ غضبه ينفجر في وجهه بأقسى الكلام. تُرى ماذا سيصيبه لو رآني هنا؟! وتمنّى وفي أعماقِه أن يعودَ للبيتِ قبل حدوثِ هذا. جلس حيث أقعدَه مضيفُه السّاقي، وقلبُه يكاد يقفز من بين الضّلوع! عاد السّاقي يحمل بإحدى يديه ديكَ دجاج أسود الرّيش، وبالأخرى سكّينا. ففرح الأصدقاءُ وهاجوا وماجوا ... الليلة سنقدّم أضحيةً احتفاءً بالعضوِ الجديدِ. ذُبح الدّيكُ أمام ناظريهِ، وقدّمت له كأسٌ من الشّرابِ الأحمر، خمر الأضحية!. شعر بالغثيان، ونهض من مكانِه يريد أن يتقيّأ تقزّزا وقرفا ممّا رآه، لكنّهم أمسكوا به وطلبوا منه التّريّثَ، والبقاءَ ضيفًا متّزنًا؛ لأنّه سيغدو صديقًا وعضوًا جديدًا في المجموعةِ، ولا بدّ من التّصبّر وإظهار القبول والرّضا. طرق مسامعَه صوتٌ يقول: لا تجبروه على الشّربِ، فغدًا سيطلبُ ذلك بنفسِه. دعونا نكمل احتفالَنا... علا الصّخبُ، وأخرجت بعضُ الأوراق التي مرّرت على الجميع لتقبيلِها، وكأنّها وثيقةٌ مقدّسةٌ. وهتفوا بصوت واحدٍ مردّدين كلماتٍ فهمَ عددًا يسيرًا منها، تعكسُ مبادئَ تنافي كلَّ القوانين التي يسيرُ حسبها البشرُ. ولم يخفَ عليه أنّهم كانوا حريصين على ألّا يفهم كلّ ما يهتفون به؛ كي لا يذهلَ ويزدادَ وضعُه سوءًا... أوشك الحفلُ على الانتهاءِ، فدعي إلى الاقترابِ من الدّيكِ المذبوح المعلّق، وطلب منه أن يقسمَ على حفظِ السّرّ والولاءِ قبلَ مغادرةِ المغارة. وأخبروه أنّه لا يجوز له أن يخونَ هذا القسمَ مستقبلًا، وإلّا سوفَ لا يعلم أحدٌ باختفاءِ جثّتِه. وقف وأعضاء جسدِه أكثر رجيفا ممّا كانَ أثناء وقفتِه أمامَ والدِه موبّخًا وشاتمًا. ازدادَ ارتعادُ يدِه، واصطكّت أسنانُه حين وضعت يدُه فوقَ كأسِ الدّمِ ليقسمَ، وتلعثم لسانُه أثناءَ تكرار ما ألقي على مسامِعِه، ولم يع معظمَ ما نطقَ به كالببغاء!. ووجدَ نفسَه محاطًا بالأعضاءِ يقبّلونه ويهنّئونه، ويقسمونَ على حمايتِه طالما التزمَ بقسمِه. حان موعدُ الرّجوع إلى البيوتِ، ففطنَ بحالِه، وهاله سوءُ العاقبةِ الذي سيضحي به لرجوعِه المتأخّر ... ولكن، في الطّريق استرجعت ذاكرتُه بعضَ كلماتِ القسم التي تقول:"أقسم أن أصونَ إخوتي الجدد، مثلما أصونُ دمي، وأحارب لأجل حرّيّتي..." الحريّة! أجل سأصبح حرّا، ولن أخافَ لدى دخولي البيتِ. وسأواجه أبي! فتح البابَ، ودخل متجهّمَ الوجهِ، تعتريه رغبةٌ بأن يصرخَ ويقول إنّه رجلٌ، ولم يعد صغيرًا. ومن الآن فصاعدًا لن ينصاعَ لأحدٍ! ويشعر أنّه ارتشفَ جرعةً من الجرأةِ، وربّما الوقاحة للمواجهةِ، بعد ما مرّ به خلال السّاعاتِ الماضية!. انتهره والدُه لدى دخولِه مستغربًا تأخّره، فيما والدتُه تفرك بيديها، وتنظر إليه نظرات أحسّ - لأوّل مرّة - أنّها تنبضُ محبّةً وقلقًا... لكنّه استطاع تخليصَ نفسِه من المأزق، حين قال إنّه كان في احتفال دعي إليه بمناسبةِ إنهاءِ المرحلةِ الثّانويّةِ؛ لتوجيهِ الطّلابِ وإرشادِهم في اختيار المواضيع للدّراسةِ الجامعيّة، ونسي إبلاغهم بذلك... انفرجت أساريرُ وجهِ الأبِ الغاضبِ؛ لإحساسهِ بأنّ ابنَه قد بدأ يفكّرُ صوابًا. اتّفق أثناء عودته مع الرّفاق الجدد أن يشاركَهم في اجتماعاتِ النّهار فقط؛ كي لا يثيرَ الشّكوكَ حولَه، فوافقوا . بدأ سلوكُه يتغيّر. فقد لاحظ أفرادُ عائلتِه اعتكافه في غرفتِه التي غطّى جدرانَها بملصقاتِ صورٍ مرعبةٍ أقرب إلى الشّياطين منها إلى بني البشر. وإن غادرَ البيتَ، يكون ذلك في ساعاتٍ معيّنة، بحجّة أنّه يذهب إلى بعض أصحابه المتفوّقين؛ ليدرسوا لامتحان القبولِ في الجامعةِ، ويعود بعدها للاعتكافِ.. وبدأ يهتمّ بسخافاتٍ في مظهره الخارجيّ، حيث بدت بعضُ أثار الجروح على معصمِه، أخفاها بأساورَ جلديّة وصوفيّة وغيرها... وتقلّد سلسلةً تتدلّى منها جمجمةٌ. لم يشعرْ الأبُ بالرّاحةِ لمثلِ هذا الأمر، وأحسّ أنّ هناك شيئًا غامضًا، فقرّر مراقبتَه. مشى خلفه عندما كانَ يغادر البيتَ. كان يدخلُ بيوتًا لا تربطهم بهم أيّةُ صلةٍ، ولم يكنْ أحدٌ منهم زميلَ دراسةٍ لابنِه. فاستمرّ في المراقبةِ... ليلة الأحد موعدُه مع الرّفاق للّقاء الشّهريّ في المغارةِ، ولا يقبل أيّ عذرٍ . فكّر طويلًا قبل المشاركةِ، لكنّه قرّر في النّهاية الذّهابَ.. فقد أقنعوه بأنّهم سيعودون مبكرينَ. دخلوا المغارةَ، وبدأوا بممارسةِ طقوسهم الشّيطانيّة، وشارك في الرّقص فقط. فجأةً، أحسّ أنّه يريد الهربَ. لقد رأى قطًا أسود بيدِ أحدِهم، فظنّ أنّه سيذبح مثل الدّيك. تذكّر قطّته "ميسو" وصرخ يناديها.. وهمّ بالخروج، إلّا أنّه مُنِع من ذلك وأعيد مقبوضًا على عنقِه بشدّةٍ، مذكّرين إيّاه بالقسمِ. أجلس أمام النّار الموقدة؛ ليقيموا احتفالا للقطّ العظيم!... والقطّ رابضٌ أمامه مصوّبا نظراتِه نحوَه... وفيما هُم في هرج ومرج، وإذ بصوتٍ عالٍ يدوّي، ويطلب منهم التّوقفَ. نظروا فرأوا العضوَ الجديدَ يهبّ واقفًا مسمّرًا عينيه في الشّخص الذي يشبهه شكلًا، فاقتربوا منه لتهدئة روعِه وحمايتِه إن لزمَ الأمرُ. اقترب منه، وكأنّه يبغي تسويتَه بالأرض، ثمّ وجم في مكانِه حين خطفَ نظرَه ما رُسمَ على الجدران ممّا يدبّ الخوفَ والفزعَ في القلوبِ، وما تكوّم من أوعية معدنيّة في إحدى الزّوايا، والأدهى ذاك الكتابُ بعنوان: (عَبَدةُ الشّيطان). فجنّ جنونُه وصرخ في وجهِ ابنِه: الآن عرفتُ أيّها الفاشل الأحمق سببَ فشلِك!... وفي اللّحظةِ ذاتِها - ورغم هولِ ما يرى - تذكّر أنّ ابنَه لا يخرج في اللّيالي أبدا إلّا برفقةِ العائلةِ. ومع جحيمِ الفكرِ والشّعورِ هذا، سمع صراخًا قطع عليه كلَّ شيء:

أين كنتَ يا أبي ؟ أين أنتَ؟ لماذا تأخّرت؟! ... فتنبّه أنّ شيطانيّة المكان جذبت إليه شيطانيّة الأفكار، وانطلق مستجيبًا لاستغاثةِ ابنِه...

موت الكتابة...

في جملة من الاستعارات

عبدُ الواحدِ الانصاريّ

لا أحبُّ أنْ أتحدّثَ كرجلٍ برجوازيٍّ، لكنْ دائمًا ما يحضرُ في رأسي تشبيهٌ أو استعارةٌ ملحّةٌ، ثمّ تصبحُ لي مثلَ الصّداعِ، الصّداعُ تبتلعُ لهُ قرصًا يتلبّسُهُ ثمّ يضغطُ عليهِ، فينحسرُ كالظلّ، لكنّ الاستعارةَ صداعٌ لا يخفُّ إلا بالخروجِ، إنّهُ أمرٌ يشبهُ الاحتقانَ إن أردنا الدقّةَ وابتعدْنا عنِ المراوغةِ.

ما الّذي يزهّدُ الكاتبَ في الأدبِ؟!

هذا هو السؤالُ، وهو سؤالٌ يمرُّ معَ كلِّ شخصٍ يرى أنّ هذا الشّيءَ الّذي يمارسُهُ هوايةً، أو مهنةً، ولا يتعاملُ معهُ على أنّهُ مصيرٌ محتومٌ.

يجبْ أنْ تكونَ الكتابةُ مصيرَك المحتومَ حتّى لا تفارقها، أو حتّى لا تفارقُك بالأحرى.

يحضرُني الآنَ- لكيلا تكونُ البدايةُ عبثيّة- استعارةُ ركوبِ الخيلِ.

حينَ تَعشقُ الخيلَ لذاتِها، فإنّك تحلمُ بامتلاكِ فرسٍ، اصطبل، الفوزِ بمسابقةِ قفزٍ للحواجزِ، لكنّكَ في النّهايةِ لا تتخلّى عن ركوبِ الخيلِ مهما كانَ الثّمنُ، ولو لمْ يبقَ في العالمِ سوى فرسٍ واحدةٍ، فإنّكَ ستحاولُ مهما كلّفكَ ذلكَ أنْ تكونَ راكبَ تلكَ الفرسِ.

تجنّبًا للتكلّفِ، تستطيعُ أنْ تقولَ إنّ الكتابةَ يجبْ أنْ تكونَ بالنّسبةِ إلى أهلِها وأصحابِها (لا أدري ما الفرقُ بينَ الكلمتينِ ولكنّهما خرجتَا من مخرجٍ واحدٍ على أيّ حالٍ) مثلَ قصّةِ الدّعايةِ المشهورةِ للّهآخرُ حبّةٍ ببسي للّه، ومن دونِ ذلكَ لا يمكنُ لكاتبٍ أنْ يستمرَّ بصورةٍ مؤكّدةٍ، بمعنى: أنّهُ لا يمكنُ للكاتبِ أنْ يستمرَّ بصورةٍ يقينيّةٍ إلّا إذا تخيّلَ أنّهُ آخرُ كاتبٍ في العالمِ. وحتّى لو تخيّلَ أنّهُ آخرُ كاتبٍ في العالمِ فإنّ ذلكَ لا يكفي، وبهذا تكونُ استعارةُ للّهعلبةُ البيبسي الأخيرةُللّه غيرَ صالحةٍ، لأنّهُ ينبغي لهُ أيضًا أن يتخيّلَ أنّهُ آخرُ كاتبٍ في العالمِ، ومعَ ذلكَ فإنّ كتابتَهُ ستمرّ دونَ أنْ يعبأَ بها أحدٌ، ويتقبّل ذلكَ المصيرِ برضًى.

لكنّ المشكلةَ أنّ الكاتبَ الآنَ حينَ يكتبُ فإنّهُ يفكّرُ: هل يكتبُ الآخرون؟ هل سيقرأُ لي الآخرون؟ وتحت كلّ إجابةٍ اشتراطاتٌ متسلسلةٌ، فلا تكفي للّهنعمللّه وحدَها، لتجعلَهُ يستمرُّ، بلْ إنّ للّهنعمللّه هذه مشروطةٌ بـللّههلاّتللّه أخرى تتبعها، مثل: هل سيقرأُ لي فلانٌ؟ هل سيكتبُ عنّي فلانٌ؟ هل سيُباعُ من كتابي عددُ للّهكذاللّه منَ النّسخ؟! وكلّ هلْ تلد للّههلاّللّه أخرى بعدَها.

مشكلةُ الكتابةِ في هذا العصرِ أنّها مهنةٌ للّهجهنميّةٌللّه، وهذه أيضًا من الاستعاراتِ الخادعةِ، الّتي توهمُ القارئَ بأنّهُ سيطرَ عليها، بيْدَ أنّها لا يمكنُ أنْ تتّضحَ لهُ إلّا بعدَ أنْ يقرأَ شرحَها، وصدّقوني، هذا النوعُ من الاستعاراتِ موجودٌ حقًّا، (هذه الفقرةُ كان محلّها بعدَ الفقرةِ القادمةِ، لكنّني سارعتُ إلى تدوينِها قبلَ أن أنساَها)

وفي ظلِّ هذه للّههلاّتللّه فإنّه لا أحد يستطيعُ أنْ يضمنَ لك شيئًا خارجَ محيطِهِ الشخصيِّ، كمثل عبد الواحد، فهو لا يستطيعُ أنْ يضمنَ لك أكثرَ منْ أنْ يقرأَ لكَ كلّ ما سيصدرُ لكَ، وسيكتبُ عمّا يستطيعُ أو يجدُ أنّهُ يستطيعُ الكتابةَ عنهُ، وكلُّ ذلكَ كما ترى مرهونٌ بالاستطاعةِ الّتي ليستْ في يدِ المرءِ نفسه، وإنّما تحكمُها أمورٌ خارجةٌ عن طوعِهِ، فالمرءُ قطعًا لا يخلقُ أفعالَه بحالٍ... كما أنّه حتّى لو وفى لكَ، بخاصّةٍ أنّهُ يكنّي نفسَه أبا وفاءٍ، فثمّةَ سؤالٌ أخلاقيّ سيظلّ يثقلُ كاهلَكَ، وإنْ لمْ يثقفها فستشعرُ بوطأتِه على قذالك وكأنّه للّهبسطارللّه ثقيلٌ: هل يستطيعُ هذا المسكينُ الأغبرُ الّذي يمكن أنْ يكونَ ذاتَ يومٍ قارنَك الوحيدَ في العالمِ أنْ يعّول عليكَ بالقدرِ نفسه من الثّقةِ الّتي تحملُها أنتَ لهُ؟!

قلتُ: إنّ الكتابةَ مشكلتُها أنّها مهنةٌ للّهجهنميّةٌللّه وهذا أسٌّ من أسسِ شقاءِ الكتّابِ، ومعنى الاستعارةِ أنّها تنبني على أجيالٍ، كلّما بدأ منها جيلٌ ألغى الجيلَ الذي قبل وانقطع عنه إبداعيًّا، ولا يبقى بعد ذلك سوى الأعمالُ فوق التاريخيّة (كما يسمّيها كونديرا) وهي الأعمالُ الّتي يقدّرُ لها بسببٍ أو آخر ألاّ تطولُها يدُ الإلغاءِ، وهوَ على أيِّ حالٍ من وجهةٍ نظري يكمنُ في أنّهُ مضمارٌ من مضاميرِ إظهارِ قدرةِ اللّهِ العليمِ، لأنّ الأعمالَ فوق التاريخيّةِ تشتهرُ على حسابِ أعمالِ خيرٍ منها، ولا تغيبُ عنّا أعمالٌ كثيرةٌ من هذا القبيلِ.

ومعنى أنّ الكتابةَ مهنةٌ جهنميّةٌ مأخوذٌ من الآيةِ في سورةِ الأعرافِ الّتي جاءَ فيها أنّ أهلَ جهنّم، كلّما دخلتْ منهم أمّةٌ لُعنتْ أختُها، حتّى إذا اجتمعوا فيها جميعًا لعنَ آخرُهم أوّلَهم، ولعنَ أوّلُهم آخرَهم، وانتهتْ قصّةُ مهنتِهم إلى الأبدِ، وهكذا هي الكتابةُ من وجهةِ نظري.

ينبغي للكاتبِ أنْ لا يكونَ كعاشقِ كرةِ القدم على الإطلاقِ، وإلّا فسيعاني الشقاءَ إلى الأبدِ، ولكنّهُ يجبْ أنْ يكونَ مثلَ عاشقِ جمعِ الطّوابعِ، يظلُّ ملازمًا لمهنتِه وقلمِهِ حتّى ينتهيَ ورقُ الكونِ وحبرُهُ، أو ينتهيَ هوَ، وهذا هو الأرجحُ على كلّ حالٍ، وعندما يشعرُ أنّ خلاصَهُ في الكتابةِ، لا فيما بعد الكتابةِ عندئذ يجدُ خلاصَهُ، لا لشيءٍ إلّا أنّ خلاصَه بين يديهِ، ومنْ كانَ خلاصُهُ بين يديهِ فحريٌّ بهِ أن لا يشقى أبدًا.

مشكلةُ كثيرٍ منَ الكتّابِ أنّهُ يتعاملُ بعقليّةِ الحواةِ، أوِ السّحرةِ، أو المشعوذينَ، لا بعقليّةِ الأنبياءِ، الأنبياءُ يصدقُ بعضُهم بعضًا، ولكنّ السحرةَ والحواةَ والمشعوذينَ يكذبُ بعضُهم بعضًا، ولا يعيشُ أحدٌ منهُم إلّا على خسارةِ صاحبِهِ، الأمرُ أشبهُ بلعبةِ قمارٍ، الجميعُ فيها يريدُ أنْ يكسبَ، والجميعُ فيها منتهاهُ إلى الخسارِ، لماذا؟ لأنّ كلًّا منهُم لا يفكّرُ في المهمّةِ المنوطةِ بهِ، وإنّما يفكّرُ في النّجاحِ الخاصِّ بهِ والنّجاحِ المتعلّقِ بالغيرِ، ومن دونِ أدنى قدرٍ من الإحساسِ بالتّضحيةِ، وهنا يكمنُ الدبّوسُ الّذي هو لعنةُ البالونِ الأبديّةُ، يظلّ البالونُ إلى الأبدِ يخشى الدبّوسَ، ويظلّ الدبّوس إلى الأبد متربّصًا به، وحتّى لو حدثَ المستحيلُ وألغيتْ قوانينُ الفيزياءِ فسيظلّ كلاهما متمسّكًا بشعورِه ذاته تجاهَ الآخر.

وفي العالمِ الآخر، الّذي لا يشقى فيه الكاتبُ بقرينِه الكاتبِ، تجده يشقى بغريمٍ آخر كالنّاقدِ، أو القارئِ، كالحاوي، الّذي يشقى دائمًا بعدمِ إقبالِ الجماهيرِ عليهِ، فلو أنّ حاويًا منَ الحواةِ جمعَ عشرةَ رجالٍ، ثمّ قدّمَ لهم أفضلَ حيلةٍ في الكونِ ثمّ لم يتفاجؤوا لأقدمَ على الانتحارِ، لا لشيءٍ إلّا أنّ الحاوي هذا هوَ مصيره، معلّق بعيونِ الآخرينَ ورضاهُم، بيدَ أنّه من المفترضِ أنّ أولئك الذينَ شاهدوا هذه الحيلةَ ولم تؤثّر فيهم، أنّهم هم الأحقّ بالانتحارِ، لكنْ هذا هو مصيرُ الحاوي الأبديّ، إنّه الموهوبُ الّذي يتعلّق مصيرُه بإرضاءِ للّهالدّهماءللّه، ولا لعًا له.

وحتّى لو رضيَ عنكَ الدّهماءُ فما نهايتكَ؟ إنّ أقصى قدرِك أن ينتجَ عنكَ برنامجٌ تلفزيونيٌّ، أو ملحَقٌ ثقافيٌّ في صحيفةٍ، أو حوارٌ في إذاعةٍ، وإن تجاوزَ ذلك فقد تصدرُ عنكَ دراسةٌ، أو تُعاد طباعةُ كتاباتِكَ، لينخدعَ بها مخدوعٌ مثلكَ ممّن سيأتي بعدَك، ثم تُطمرُ أنتَ وأدبُك حتّى تُبعثَ، وحينَ تبعثُ فإنّكَ لا تدري مع من تُحشرُ، ولن تتجاوزَ هذا السّقفَ بالغًا ما بلغَ قدرُك، فلماذا تكتبُ؟!

أنفاسي تتسارعُ، وهذه علامةُ لهاثٍ، واللّهاثُ أمارةُ تعبٍ، فلأعجّل قليلًا: يأتي نوعٌ أخيرٌ من الكتّابِ (وهو أخيرٌ بسبب تعبي لا لأنه أخيرٌ في الحقيقةِ)، هو ذلك الّذي لا يهمّهُ ما بعدَ الكتابةِ، ولا يهمّه خصمُه الكاتبُ، ولا يهمّه الجمهورُ، ولكنّ مهنةَ الكتابةِ نفسَها لديها مهنٌ أخرى غريمةٌ لها، وهو يتعاملُ مع الكتابةِ كزوجةٍ أو صديقةٍ، قد يعافُها في أيِّ لحظةٍ، وقد يأتي ببديلةٍ لها، وقد يتركُها حين يتململُ منها دونَ بحثٍ عن بديلةٍ، وقد تكون رجلًا معدّداً للزّوجاتِ، وهو يحلم بالعدلِ بينهنّ، فلا يعدلُ بينهنّ أبدًا، لأنّه لا رجل يستطيعُ أنْ يعدلَ بينَ النّساءِ ولوْ حرصَ كلّ الحرصِ، فما بالُكَ إنْ كانَ الكاتبُ امرأةً تعدّد رجالُها، وتودّ أنْ تعدلَ بينهمّ (الشدة موضوعة قصداً). لكنّ هذا الأخيرَ هوَ أقلّ أنواعِ الكتّابِ الأشقياءِ شقاءً، ذلكَ أنّهُ قدْ يتذكّر المرأةَ الّتي عاشرتْهُ ويدمعُ عليها دمعتَيْن وينسى، وقد لا يندمُ على فراقِها إلّا إن تورّطَ في معرفةِ المرأةِ الأخرى، والأمرُ كما ذكرتُ شبيهٌ أشدّ الشّبهِ بالعلاقةِ بينَ الرّجالِ والنّساءِ، وليسَ عليكَ يا خالد إلّا أنْ تعودَ إلى زواجِكَ بعدَ أن يمضيَ عليهِ الوقتُ نفسُه الّذي مضى عليكَ في الكتابةِ، وصدّقني، ستجدُ يومَها أنّكَ ستشعرُ تجاهَ المرأةِ الشعورَ نفسَه الّذي تجدهُ اليومَ معَ الكتابةِ، وإنّما أقولُ ذلكَ لأنّني بدأتُ الأمرين معًا وفي آن: مؤسّسةُ الكتابةِ، ومؤسّسةُ المرأةِ. لأكونَ دقيقًا، بدأتُ مؤسّسةَ الكتابةِ قبلَ عامَينِ من مؤسّسةِ المرأةِ، ولذا فلكيْ أستشرفَ مُستقبَلي معَ المرأةِ بعدَ عامَينِ أنظرُ إلى حاضِري معَ الكتابةِ، كمَا أنّني حينَ أنسى كيفَ كنتُ مع الكتابةِ قبلَ سنتينِ، أنظرُ إلى حاضري مع المرأةِ، فأنظرُ إلى الغيبِ من وراءِ حجابٍ شفيفٍ، ويتجلّى لي الماضي ماثلًا أمامَ ناظريّ الكليلَيْنِ.

إنّ المرأتان إن المرأتان)مكرّر على لغةٍ شاذّةٍ) لا تطيقانِ أنْ تتعايشا بلا تراتُبٍ رأسيٍّ بينَهما، كالمرأةِ والخادمةِ، والسيّدةِ والمَسودةِ، والأمِّ وابنتِها، ومنْ فكّرَ أنْ يحولَ كائنينِ رأسيّينِ في قلبِهِ الرأسيِّ إلى كائنينِ أفقيّين فكأنّه يحاولُ أنْ يُجريَ عمليّةً جراحيّةً لتتحوّلَ عيناهُ الأفقيّتانِ إلى رأسيّتينِ بينَ الأنفِ والجبهةِ.

أمّا كيفَ يمارسُ الكاتبُ المؤمنُ كتابتَهُ على الكيبوردِ وعملِه الرسميِّ على الكيبوردِ يجعلهُ عائقًا لهذهِ الآلةِ اللّعينةِ، فإنّ قصّةَ الأخِ الشّقيقِ لإيميلي وشارلوت برونتي، وكان رسّامًا، أنّه كانَ موظّفَ سجلِّ القطارِ، وطردَهُ سيّدُه في العملِ بسببِ ممارستِهِ الرّسمَ على سجلّاتِ العملِ، ولم يَردْ في القصّةِ الّتي قرأتُها أنّ الرسامَ ندمَ، ولا أنّه ماتَ سعيدًا، وقد لا يَدري أحدٌ يدري (التّكرارُ هنا أيضًا متعمّدٌ وإنْ لمْ يكنْ لهُ معنًى).

أيْ أنّه؛ باختصارٍ: الكتابةُ قصّةُ إيمانٍ، وليستْ قصّةَ بقاءٍ ولا نجاحٍ، فمن شاءَ فليؤمنْ، ومنْ شاءَ فليكفرْ.

عرشُ افتِتاني

شعر : ماجد الغامديّ

فـــؤادُ عـلـــى ذِكـــرى هـواهـــا تصدّعـــا
وَهَـــمٌ عـلـــى جمـــرِ الصّلـــوعِ تجمّعـــا

ووجـــدُ أبـــى أن لا يـحـــرّقَ مهجتـــي
وأقسَـــمَ أن لا تـعـــرفَ العيـــنُ مَهجعـــا

ونـفـسٌ تـتـــوقُ الـدّهـــرَ لـلـغـادةِ الّـتـــي
أفانيـنُـهـا تُـغـــري الـفـــؤادَ تـطـلّـعـــا

وشـــوقٌ إذا مـــا قلـــتُ مـــاتَ!! ولا أرى
بقلبـي لـــهُ بيـــنَ الـلّـواعـجِ موضِعـــا

تـوقّـدَ حـتّـى لـــمْ أجـــدْ فـــي جوانِـحـي
لمحبوبـــةٍ غـيـــرِ الحبيبـــةِ مطمَعـــا

وروحٌ إذا ما الـبيـــنُ طـــالَ ..تـفـتّـتـــت
ففـي كـــلِّ يـــومٍ تجتَـنِـي منـــهُ مصرعـــا

وقـــلبُ أبـــى الحورَ الحســـانَ وما ارتضى
لِـعـرشِ افتـتـانـي غـيـرهـا أن تـربّـعـا أطـلّـت

إذا أيـبـسَـت بـالـبـعـــدِ طـلـــعَ ورودِها
فأحيَـــت فـــي حنـايـــايَ بلْـقعـــا

وإن عَـمَـــرَت أطلالَـــهُ أزهـــرَ المَـــدى
فـيـبـدو بـمـا تـرويـــهِ أجـنـــى وأينـعـــا

وإن أرسلَـــت بالسّـحـــرِ نَـبـــلَ جفونِـهـــا
تسابـقـنَ كـــلّ يحـمـــلُ المـــوتَ منـقـعـــا

فَتـهـمِـي صَبـاباتـــي رجـــاءً وحســـرةً
وتـنـبـــتُ آمـــالًا سـجـــودًا و رُكّـعـــا

أمـــدُّ حـبـــالَ الأمـنـيـــاتِ لِـوصـلِـهـــا
وأدخـــلُ أبـــوابًا مـــن العُجـــبِ شُرّعـــا

يؤانِسُنـــي فـــي الـــدّربِ ضـــوءُ نهارِهـــا
فـأذرعُـــهُ نـبـضًـــا وأمشـيـــهِ مهيَـعـــا!

أشـيـــدُ آمـــالًا وأبـنـــي مطـامـعًـــا
بطيـفٍ مـــن الأحـــلامِ جـــادَ فأقـنـعـــا

وحسـبـيَ يـومًـــا أنْ تـوهّـمـــتُ طيـفَـهـــا
وحسبِيَ أن نبقى ولو في الكَرى معـــــا!

أراهـــا فتـخـضـــلُّ الـجـوانـــحُ بالـمُـنـــى
وأُقنـــعُ منهـــا الـــروحَ مـــرأى ومسمـعـــا

فـــلا أبتـغـــي إلّا هـواهـــا ..! وهـــا أنـــا
أصـــونُ عَـفـافـي بـالـصّـــدودِ تـرفُّـعـــا!!

فأسمو..فـــلا أرضـــى وصـــالًا لغيـرِهـــا
وقـــد زِدتُ هـجـــرًا لـلـحـيـــاةِ تَـمَـنُّـعـــا

وأعـــرضُ حتّـى كِـــدتُ أنسـى صبابتـــي
فـلـــمْ يُـغـرِنـــي حســـنٌ ولـــنْ أتَـطَـلّـعـــا

أراهـــا أفانيـــنًا مـــنَ الـسّـحـــرِ ، فِـتـنـــةً
وروضًـــا مـــن الفـــردوسِ طـــابَ وأفنـعـــا

ومـــا بـخـلَـت نـفـســي بـبـــذلِ سُلافِـهـــا
هيـامًـا ومـــا كفكـفـــتُ للـعيـــنِ مدمـعـــا

فأقـطـــرُ شـــوقًـا فـــي ريـــاضِ خـدودهـــا
فللّهمـــا أحســـنَ المصطـــافَ والمتربّـعـــا الله

وأبـحـــرُ أستـجـدي الـنـعـيـمَ بـجـيـدهـا
فأوغـــلُ لا أرجـــو مـــن الخُـلـــدِ مرجـعـــا

"لقـــد خِفـتُ أن لا يقنـــعَ القـلـــبُ بعـدهـــا
بشـــيءٍ مـــن الدّنـيـــا وإن كـــانَ مُقنِـعـــا"

جانـدا

د. سـمـير الـعـمـري

انطَلقَتْ تُسابِقُ الرِّيحَ لا تلوِي عَلَى شَيْءٍ، يَلهَثُ خَلفَها ذُعرُهَا المَكلومُ بِوجَعِ عَجْزٍ.

كَانَ النُّعَاسُ قد بَدَأ يُداعبُ عَينَي النَّهارِ حِينَ أرهَقتْهَا أنْفاسُهَا وَخَانَتهَا أطرافُهَا فَأســـــنَدَتْ جسَدَها لِجذْعِ شَجَرَةٍ عَجُوزٍ تَلعَقُ جِراحَهَا النَّازِفَةَ فِي صَمتٍ وَوُجُومٍ، وَتُهَدْهِدُ صَدْرَها المُتَهدِّجَ لِيستَكِينَ. وَفجْأةً؛ دَوَّتْ زَأرَةُ مَخَاضٍ مُبكِّرٍ لِبِكْرٍ تَضَعُ ذَكَرَين.

لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ بَاجِيرَا وَهيَ تَجتَهِدُ في تَطوِيرِ قُدُرَاتِها في الرَّصْدِ وَالصَّيدِ وَتَترَقَّى بِثِقــةٍ لأعلَى التَّرْتِيبِ الهَرَمِي لِلجَمَاعَةِ أنَّ فِضِّيَةَ العَينِ ستُنَاصِبُها العَدَاءَ وَســـــتَترَصَّدُهَا في كُلِّ مَرَّةٍ تُظْهِرُ فِيهَا بَرَاعتَهَا أو تُلْفِتُ إلَيهَا نَظرَ الأسَدِ المُسَيطِرِ. جُنَّ جُنُونُ فِضِّيَةِ العَينِ وَهيَ تَرَى بَاجِيرَا تَضَعُ مِنَ الأسَدِ مَولُودَين فَانْقَضَّت عَلَيهَا حَتَّى قَتَلَتهَا وَالشِّبْلَ الذَكَرَ قَبلَ أنْ يعُودَ الأسَدُ فَتُقْعِي قَدَرًا لِنَجَاةِ المَولُودَةِ الأنْثَى التِي احتَضَنَتهَا لَبوَةٌ أخْرَى.

كَبُرَتْ جَانْدَا عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيهِ أمُّهَا مِن حُبِّ التَّميُّزِ وَرَغبَةٍ في التَّفوُّقِ فَاصْطدمَتْ مِثلَهَا باللبُوَةِ المُسَيطِرَةِ فِضِّيَةِ العَينِ، وَكَانَتْ تَشــعُرُ دَومًا بالمَقــتِ يَنْضَحُ مِنْهَا وَبالغَدْرِ يَلُوحُ مِنْ عَينِهَا فَكَانَتْ تَتَحَاشَى أبَدًا أنْ تَمْنَحَها فُرصَةً لِلانقِضَاضِ عَلَيهَا وَلَمَّا تَكتَمِلْ قُوَّتُهَا وَتُصقَلْ قُدُرَاتِهَا. وَمَضَى الزَّمنُ وَئِيدًا يَأخُذُ بالسِّنِينِ مِنْ فِضِّيَةِ العَينِ الرَّهِيبَةِ وَيَمنَحُ جَانْدَا قُوَّةً وَخِبـــــــرَةً جَعَلَتهَا فِي مُنَافَسَةٍ مَعَهَا عَلَى دَورِ اللبُوَةِ المُسَيطِرَةِ فَلَمْ تَعُدْ تَحْذَرُ مِنهَا.

أدْرَكَتْ جَانْدَا حِينَ جَفَّ ضَرْعُهَا وَجَاعَ صَغِيرَاهَا أنَّ عَلَيهَا أنْ تَبحــثَ عَن طَعامٍ، فَنَقَــلَتْ شِبــلَيهَا إلَى مَأمَنٍ فِي دَغلٍ قَرِيبٍ ثُمَّ جَاهَدَتْ رَهَقَها بَحثًا عَنْ طَرِيدَةٍ تَستَطِيعُ أنْ تَصِيدَهَا وَلَمْ يَكُنِ الأمْرُ يَسِيرًا لَكِنَّهَا عَادَتْ وَهيَ تَلعَقُ بَقِيَّةَ دَمِ ظَبـيٍ صَغِيرٍ. شَلَّتهَا الفَجِيعَةُ حِينَ وَلَجتْ فَلَمْ تَجِدْ شِبلَيهَا حَيثُ تَرَكَتهُمَا، وَمَا إنْ ابتَلَعَتِ الصَّدمَةُ حَتَّى انطَلَقَتْ تَبحَثُ بِلَهْفَةٍ لِتَجِدَ عِصَابَةً مِن الضِّبَاعِ خَلفَ الدَّغْلِ تَنْهَشُ جَسَدَ شِبلِهَا حَيًّا وَهوَ يَصِيحُ بِألمٍ فَانْطَلَقَتْ كالسَّهمِ تُخَلِّصُهُ مِن بَينِ أنيَابِهَا ثُمَّ تُطَارِدُهَا بِضَرَاوَةٍ حَتَّى أبعَدَتهَا. حَاوَلَتْ جَانْدَا أنْ تَحمِلَ الشِّبلَ بَعِيدًا عَنِ الخَطَرِ فَأوهَاهَا بِصُرَاخِهِ. لَعَقَــتْهُ بِحَنَانٍ تَســتَحِثُّهُ لِيمْشِيَ فَاكتَشَفَتْ أنَّهُ مَكْسُورُ الظَّهْرِ مُمَزَّقُ الأحْــشَاءِ مَيِّتٌ لا مَحَالَةَ. رَفَعتْ رَأسَهَا وَأغْمَضَتْ عَينَيهَا بَعضَ وَقتٍ تُغَالِبُ دُمُوعَهَا ثُمَّ أطْلَقَتْ صَيحَةَ أَلَمٍ هَزَّتِ الأرْجَاءَ. عَادَت تَنظُرُ إلَى وَلِيدِهَا نَظرَةً أخِيرَةً وَمَضَتْ تُجَاهِدُ أقْدَامَهَا التِي تَرْتَعِشُ كُلَّمَا نَاجَاهَا شِبلُهَا الزَّاحِفُ خَلفَهَا حَتَّى إذَا مَا أوجَعَهَا النِّدَاءُ أطْلَقَتْ سُوقَهَا لِلرِّيحِ تَفِرُّ مِن إحْسَاسِ الأُمُومَةِ المَكْلُومِ إلَى نَامُوسِ الطَّبِيعَةِ المَحْتُومِ.

وَقَفَتْ جَانْدَا عَلَى تِلكَ التَّلَّةِ المُشْرِفَةِ تَستَرجِعُ مَا دَارَ لَهَا في أقْصَى الوَادِي هُنَاكَ حَيثُ غَافَلَتهَا فِضِّيَةُ العَينِ وَهَاجَمَتهَا فَأحدَثَتْ فِيهَا جِرَاحًا اضطَرَّتهَا للهَربِ بَعِيدًا. مَضَى وَقتٌ طَوِيلٌ وَهيَ تَعِيشُ وَحِيدَةً تَجُوبُ الأدغَالَ فَصَقَلَتِ المُمَارَسَةُ قُدُرَاتِهَا وَهَذَّبَتِ المُثَابَرَةُ خِبرَاتِهَا حَتَّى بَاتَتْ قَادِرَةً عَلَى صَيدِ الفَرَائِسِ الكَبِيرَةِ مِمَّا يَعجَزُ عَنهَا جَمعٌ مِنَ الأسُودِ. لَقَد قَرَّرَتْ أنْ تَعُودَ وَلَنْ يُثنِيَهَا عَنِ العَودَةِ بَعدَ كُلِّ هَذَا الغِيَابِ شَيءٌ.

كَانَتْ الشَّمسُ تُطِلُّ عَلَى استِحيَاءٍ مِن خَلفِ الأكَمَةِ تُرَاقِبُ جَانْدَا تَسِيرُ بِخُطًى وَاثِقَةٍ عَبرَ السَّفحِ نَحوَ وَادِي الأسُودِ، تُحِيلُ عَينَيهَا في الأفُقِ المُمتَدِّ بَحثًا عَنْ جَمَاعَتِهَا التِي طُرِدَتْ مِنهَا. لَمْ يَطُلِ الأمَدُ حَتَّى أطَلَّتْ فِضِّيَةُ العَينِ بِرَأسِهَا وَأقْبَلَتْ تُهَرولُ مُستَفزَّةً وَقَد عَرَفَتهَا. وَقَفَتْ في ثَبَاتٍ القَوِيِّ تُؤَكِّدُ أنَّهَا مَا عَادَتْ لِسُوءٍ، وَلَكِنَّ فِضِّيَةَ العَينِ بَادَرَتهَا بِهُجُومٍ تَصَدَّتْ لَهُ بِقُوَّةٍ حَتَّى طَرَحَتهَا أرضًا وَنَظَرَت فِي عَينِهَا بِتَحَدٍّ وَإصْرَارٍ. أدْرَكَتْ فِضِّيَةُ العَينِ أنَّ جَانْدَا لَمْ تَعُدْ تِلكَ التِي هَزَمَتهَا مِنْ قَبلُ فَتَرَاجَعَتْ بِهُدُوءِ المَذهُولِ تَتَقَبَّلُهَا عَلَى مَضَضٍ في الجَمَاعَةِ مِنْ جَدِيدٍ.

عَلَى الضِّفَّةِ الأخرَى مِنَ النَّهرِ عَنَّ قَطِيعٌ مِنَ البَقرِ الوَحْشِيِّ اسْتَرْعَى انتِبَاهَ جَمَاعَةِ الأسُودِ الجَائِعَةِ لأيَّامٍ، وَسَاقَــــتهَا الغَرِيزَةُ حَتَّى حُدُودِ النَّهْرِ ثُمَّ نَظَرتْ اللبُوَاتُ إلَى فِضِّيَةِ العَينِ القَائِدَةِ يَنتَظِرْنَ مِنهَا المُبَادَرَةَ حَتَّى إذَا طَالَ أمَدُ تَرَدُّدِهَا خَطَتْ جَانْدَا خُطُوَاتٍ نَحْوَ النَّهْرِ المُتَدَفِّقِ عبرَ السُّهولِ تَتَحَسَّسُ المَاءَ تَخُوضُهُ بِحِرصٍ وَإصرَارٍ. تَلَكَّأتِ اللبُوَاتُ قَلِيلا فَلَمَّا رَأيْنَ فِضِّيَةَ العَينِ عَاجِزَةً لا تُبَادِرُ لِشَيءٍ تَرَكْنَهَا وَحِيدَةً وَتَبِعْنَ جَانْدَا الوَاحِدَةُ تِلوَ الأخرَى. شَعَرَتْ جَانْدَا بِأنَّ المَوقِفَ قد نَصَّبَهَا قَائِدَةً لِلجَمَاعَةِ فَبَدَأتْ تَتَصَرَّفُ بِمُستَوَى المَسؤُولِيَّةِ. أجَالتْ بَصَرَهَا في قَطِيعِ البَقرِ حَتَّى رَصَدَتْ صَيدًا مُنَاسِبًا فَحَدَّدتْ لَحظَةَ الانْطِلاقِ وَتَبِعَتْهَا اللبُوَاتُ في هُجُومٍ قَوِيٍّ أسْقَطَ ثَورًا سَمِينًا وَلَكِنْ عَادَ قَائِدُ القَطِيعِ مَعَ مَجمُوعَةِ التِّيرَانِ القَوِيَّةِ لِتَخلِيصِهِ قَبلَ أنْ يَتَمَكَّنَ مِنْ قَتلِهِ.

وَبَينَا كَانَتْ اللبُوَاتُ تُعِيدُ تَنظِيمَ أنفُسِهَا لِهُجُومٍ جَدِيدٍ إذْ بِفِضِّيَةِ العَينِ تَقتَرِبُ مِنهُنَّ بِهُدُوءٍ مُتَرَبِّصٍ مُقَطَّبَةِ الجَبِينِ فَأقعَينَ فَزَعًا يَتَحَسَّبْنَ مِنْ سَطْوَةِ شَرَاسَــتِهَا المَعهُودَةِ. لَمْ تَلتَفِتْ إلَيهِنَّ وَوَاصَلَتْ حَــتَّى إذَا وَصَلَتْ إلَى جَانْدَا - التِي وَقَفَتْ فِي شَمَمٍ وَحَذَرٍ - انْحَنَتْ أمَامَهَا تُعْلِنُ الوَلاءَ لَهَا كَقَائِدَةٍ جَدِيدَةٍ لِلجَمَاعَةِ فَتَعَانَقَتَا بِحَكٍّ لَطِيفٍ لِلرِّقَابِ. عَادَت جَانْدَا فَقَادَتْ هُجُومًا جَدِيدًا شَارَكَتْ فِيهِ فِضِّيَةُ العَينِ كَتَابِعَةٍ لأوَّلِ مَرَّةٍ مُنذُ عَهْدٍ بَعِيدٍ وَتَمَكَّنَّ جَمِيعًا مِن اقَــــــتِنَاصِ الثَّورِ الجَرِيحِ وَفَصْلِهِ عَنِ القَطِيعِ. كَانَتْ اللبُوَاتُ مُنشَغِلاتٍ بِالافتِرَاسِ حِينَ انْتَبَهَتْ جَانْدَا فَجْأةً وَمِنْ خَلفِ بَقَايَا غُبَارِ المَعرَكَةِ إلَى شَيءٍ جَعَلَهَا تَقِفُ بِذُهُولٍ عَلَى أطْرَافِ بَرَاثِنِهَا لِلحَظَاتٍ قَبلَ أنْ تَنطَلِقَ نَحْوَهُ بِجُنُونٍ. تَشَمَّمَتهُ فَنَاجَاهَا بِنِدَاءٍ رَقِيقٍ تَعْرِفُهُ. جَثَتْ أمَامَهُ يَتَمَرَّغُ في حِضنِهَا، وَشَعَرَتْ كَأنَّ الكَونَ قد تَوَقَّفَ دَهْرًا قَبلَ أنْ تَلعَقَ وَجْهَهُ وَتَطبَعَ قُبلَةَ أمٍّ حَنُونٍ عَلَى رَأسِهِ الصَّغِيرِ.

فقه اللّغةِ، أم علمُ اللّغةِ ؟

عن كتابِ (الوجيزِ في فقهِ اللّغةِ)
للأستاذِ محمّد الأنطاكيّ

أمّا عندَنا نحنُ - العربَ - فالفوضى لا تزالُ تضربُ أطنابَها، والعلماءُ لا يزالونَ يختلفونَ في أمرِ التّسـ ـ ـ ـمية الصالحةِ للمباحثِ اللغويّةِ الّتي يُسمّيها اللغويّونَ باللانغويسـتيك: فجرجي زيدان أطلقَ عليها اسـمَ " الفلسـفةُ اللغويّةُ "، وعيبُ هذه التسميةِ أنّها تلصقُ بالفلسفةِ مباحثَ قد تخلّصتْ نهائيًا من أوهامِ الفلسفةِ، واتّخذت مناهجَ العلمِ الحديثِ وأساليبَهُ. أمّا الأب مرمرجي الدومينيكي فيُطلق عليها اسمَ " الألسنيّة " . ويُسمّيها عبدُ الرّحمن الحاج صالح باللسانيّاتِ. لكنّ أشـهرَ التّسـمياتِ وأكثرَها شُيوعًا اثنتانِ: علمُ اللّغةِ، وفقهُ اللّغةِ. ولكلٍّ منها متعصّبونَ لا يرضونَ عن تسميتِهم بديلًا:

فأمّا أصحابُ " علم اللّغةِ " فأبرزُهم محمود السّعران. وحُجّةُ هؤلاءِ أنّ اللانغويستيك تحدّد في الكتبِ الغربيّةِ بأنّها: علمُ اللّغةِ، بـل إنّ بعضَها قد عنونَ بهذه العبارةِ ، أي اللانغويستيك أو علمُ اللّغةِ. ويرفضونَ اسمَ فقهِ اللّغةِ لأنّه أطلقَ في القـديمِ والحديثِ على مباحثَ ليستْ من علمِ اللّغةِ الحديثِ في شيءٍ. وأمّا أصحابُ " فقه اللّغةِ " فيرونَ أنَّ تسميتَهم أصلحُ ؛ لأنّها التّسميةُ الّتي شـاعتْ (عندَ العربِ حينَ ألّفوا في هذه الموضوعاتِ ... ولأنّ كلّ علمٍ لشيءٍ هو فهوَ فقهٌ، فما أجدرَ هذه الدّراسـاتِ جميعًا أنْ تُسـمّى فقـهًا). وهناكَ باحثونَ آخرونَ لا يجدونَ فرقًا بينَ التّسميتينِ، منهم محمد المبارَك ، وعلي عبد الواحد وافي الذي ألّفَ كتابـينِ سمّى أوّلَهما (علمَ اللّغةِ) والآخرَ (فقهَ اللّغةِ) ، وخصّصَ الأوّلَ بدراسةِ اللّغةِ عامّةً ، والثّاني بدراسةِ اللّسانِ العربيّ وحدَهُ.

أوهامٌ حولَ فقهِ اللّغةِ

إنّ فقهَ اللّغةِ علمٌ حديثٌ ، بلْ لا يزالُ حتّى الآنَ في عنفوانِ تطوّرِهِ. ولهذا السّبب يجهلُ النّاسُ أمرَهُ، حـتّى المثقّفونَ منهُم. والقـلّةُ الّتي تسمعُ بهِ تدورُ في رؤوسِها أوهامٌ كثيرةٌ عنهُ . ونُحبّ في هذا الفصلِ أن نُزيلَ ما علقَ من تلكَ الأوهامِ:

١- فأوّلها ما يظنّه بعضُهم من أنّ فقهَ اللّغةِ هو إتقانُ عددٍ كبيرٍ من الألسُن في الكتابةِ والخطابِ وأنّ فقـيهَ اللّغةِ هو ذلك الرّجلُ الّذي يتكلّمُ بعدّةِ ألسُنٍ غير لسانِه القوميّ. إنّ فقهَ اللّغةِ ليسَ معرفةَ لعددٍ منَ الألسُنِ، كما أنّ كثيرًا من فقهاءِ اللّغةِ الأجلاّء لا يُتقنونَ غيرَ لسانهم القوميّ. ومعرفةُ الألسنِ الكثيرة لا تجعلُ من الإنسان فقيهًا لُغويًّا، كما أنّ قيادةَ عددٍ كبـيرٍ من السـيّاراتِ لا تجعلُ من الرّجلِ ميكانيكيًّا بارعًا. إنّ فقهَ اللغةِ هو النّظرُ في اللغةِ واستنباطُ قوانينِها العامّةِ، والكشفُ عن النّواميسِ الخاضعةِ لها في مختلفِ أطوارِها. قد يُقال : فكيفَ يتسنّى لفقيهِ اللّغةِ الّذي لا يُتقنُ غيرَ لسانِهِ القـوميّ أنْ ينظرَ في مختلِفِ الألسـن ليصلَ إلى ما يُريدُ من الكشـفِ عنِ القوانين والنّواميسِ؟

والجوابُ: إنّه يقرأُ بلسانِهِ القوميّ ما كُتبَ من دراساتٍ وصفيّةٍ لتلك الألسُنِ.

على أنّ هذا لا يمنعُ من أنْ يُحصّلَ الفقيهُ اللغويّ عددًا من الألسُنِ؛ فإنّ تحصيلَه لها يُساعِدُهُ أعظمَ المُساعدةِ في عملِهِ العلميّ.

٢- وثانيها ما يظنّهُ بعضُهم مِن أنّ فقهَ اللغةِ هو التبحّرُ في لسانٍ ما، ومعرفةُ كلّ ما يتعلّقُ بقواعدِهِ وغريبِهِ وشواردِهِ .. الخ.

إنّ التبحّرَ في الألسُنِ ممّا يُساعدُ اللغويّ في عملِهِ، ويُوسّعُ من دائرةِ استقرائِهِ، ولكنّ التبحّرَ في اللّسانِ شيءٌ، ومعرفةَ قوانينِ هذا اللّسانِ شيءٌ آخرُ. وفقهُ اللّغةِ هو الكشفُ عن القوانين وليسَ التبحّرَ والإحاطةَ. إنّ معرفتَكَ بكلّ رُكنٍ من أركانِ منزِلِكَ، وإحاطتَكَ علمًا بكلّ حجرٍ فيهِ لا تجعلانِ منكَ مُهندسًا يعرفُ قوانينَ الهندسةِ والبناءِ.

٣- وثالثُها اعتقادُ بعضِهم أنّ فقهَ اللغةِ هو العلمُ بالأساليبِ الصّحيحةِ، والطّرقِ النّاجعةِ في تعليمِ الألسُن. إنّ فقهَ اللّغةِ لا يأبى أنْ يُقدّمَ نتائجَهُ إلى القائمينَ على أمورِ التّعليمِ ليستفيدوا منها في عملِهِمْ لكنّ هذه ليستْ وظيفتَهُ الأساسيّةَ، إنّهُ علمٌ لا يرمي إلاّ إلى كشفِ الحقائقِ بعيدًا عن كلّ غايةٍ نفعيّةٍ.

٤- وأخيرًا، فإنّ بعضَهمْ يعتقدُ أنّ فقهَ اللّغةِ هو العلمُ بصحيحِ الكلامِ وجيّدِهِ، وتمييزه من فاسدِهِ وسقيمِه.

إنّ فقهَ اللغةِ ينظرُ إلى كلا النّوعينِ من الكلامِ نظرةً واحدةً، ويُعامله مُعاملةً واحدةً، وليسَ عندَهُ كلامٌ يُسمّى فصيحًا شريفًا، وآخرُ يُسمّى عاميًّا مَرذولاً. ينظرُ فقهُ اللغةِ إلى العاميّةِ والفُصحى على أنّهُما مظهران طبيعيّانِ مُتساويانِ لهذه الظاهرةِ الإنسانيّةِ التي تُسمّى باللّغةِ.

المقطَعُ

لاحظَ اللغويّونَ - كما يُمكنُ لكلّ امرئٍ أنْ يُلاحظَ - أنّ الكلامَ لا يُمكنُ أنْ يتألّفَ كلّهُ منْ أصواتٍ طليقةٍ فقط، إذْ لا يُمكنكَ أنْ تتلفّظَ بالأصواتِ الآتية: (آيْ وْيْ آ وْ آيْ)، كما لا يُمكن أن يتألّفَ الكلامُ كلّه من أصواتٍ حبيسةٍ فقط ، إذْ من المتعذّرِ علينا جميعًا أنْ نلفظَ هذه الأصواتِ: (شْفْحْشْدْ كْذْ زْ قْتْ). الكلامُ - إذن - يتألف من حبيساتٍ تتلوها طليقاتٌ تتبعها حبيساتٌ .. وهكذا . والفمُ أثناءَ الكلامِ ينفتحُ وينغلقُ، ففي انفتاحاتِهِ تحدثُ الطليقاتُ، وفي انغلاقاتِهِ تحدثُ الحبيساتُ، ولا يُمكنهُ أن يظلّ منفتحًا، ولا أنْ يظلّ منغلقًا.

وقد حلّلَ اللغويّونَ الكلامَ إلى وحداتٍ صوتيّةٍ أكبرَ من وحداتِ الأصواتِ المفردةِ دعَوْها المقاطعَ. فالمقطعُ هو مجموعةٌ من الأصواتِ المفردةِ تقعُ بين كلّ انفتاحٍ من انفتاحاتِ الفمِ أثناءَ الكلامِ وبينَ الانفتاحِ الذي يليهِ. وبعبارةٍ أخرى: المقطعُ هو مجموعةٌ من الأصواتِ المفردةِ تتألّفُ من صوتٍ طليقٍ واحدٍ معه صوتٌ حبيسٌ واحدٌ أو أكثرُ. ففي كلمةِ (قالْ) مقطعٌ واحدٌ يتألّفُ من صوتٍ طليقٍ واحدٍ هو الفتحةُ الطويلةُ (الألفُ) ، وعلى جانبيهِ حبيسانِ اثنانِ هما القافُ واللّام . وفي كلمةِ (هاتي) مقطعانِ: أوّلهما (ها) الّذي يتألّف من الفتحةِ الطّويلةِ (الألف)، ومعها الهاء، والثّاني (تي) الّذي يتألّفُ من الكسرةِ الطويلةِ (الياء) ومعها التّاء أمّا الكلمةُ (ضَرَبَ) فتتألّفُ من ثلاثةِ مقاطعَ، كلّ منها مؤلّفٌ من فتحةٍ قصيرةٍ مع حبيسٍ واحدٍ وهي على التّرتيبِ (ضَ - رَ - بَ).

حتّى هنا بدا تقسيمُ الكلامِ إلى مقاطعَ أمرًا ميسورًا، لكنّ الصعوبةَ تنشأُ في مثلِ كلمةِ (دَحْرَجَ) فهذه الكلمةُ تتألّف من الأصواتِ الآتيةِ: (د) حبيس + (- َ) طليق + (ح) حبيس + (ر) حبيس + (- َ) طليق + (ج) حبيس. أي تتألّفُ من طليقينِ وأربعةِ حبيساتٍ، إي إنّها تتألّفُ من مقطعيْن اثنين؛ لأنّ كلّ طليقٍ واحدٍ يُعتبرُ محورًا لمقطعٍ واحدٍ. والصّعوبةُ هي في توزيع الحبيساتِ الأربعةِ على هذينِ المقطعينِ. نعم إنّه لا خلافَ في تبعيّةِ الحبيسِ الأوّلِ، وهو الدّال، للمقطعِ الأوّلِ. كما لا خلافَ في تبعيّة الحبيسينِ الثّالثِ والرّابعِ، وهما الرّاء والجيم، للمقطعِ الثّاني، ولكنّ الخلافَ يتركّزُ في أمرِ الحبيسِ الثّاني، وهو الحاءُ، فهل نضمّهُ إلى المقطعِ الأوّلِ فيكونُ المقطعانِ على الشّكلِ الآتي: (دَحْ + رَجْ)، أم نضمّه إلى المقطعِ الثّاني فيكونُ المقطعانِ على الشّكلِ الآتي: (دَ + حْرجْ)؟ إنّ كلا الأمرينِ جائزٌ، وليسَ هناكَ ما يُرجّحُ أحدَهما على الآخرِ. إنّ التمييزَ بينَ حدودِ المقاطعِ ممّا اختلفَ فيه اللغويّونَ كثيرًا، ووضَعوا من أجلِهِ نظريّاتٍ كثيرةً، بعضُها يعتمدُ على أمورٍ صوتيّةٍ بحتةٍ، وبعضُها مُستمَدٌّ من مُعطَياتِ علمِ النّفسِ. ولا يتّسعُ المجالُ لذكرِ هذه النظريّاتِ وشرحِها.

كاريكاتير

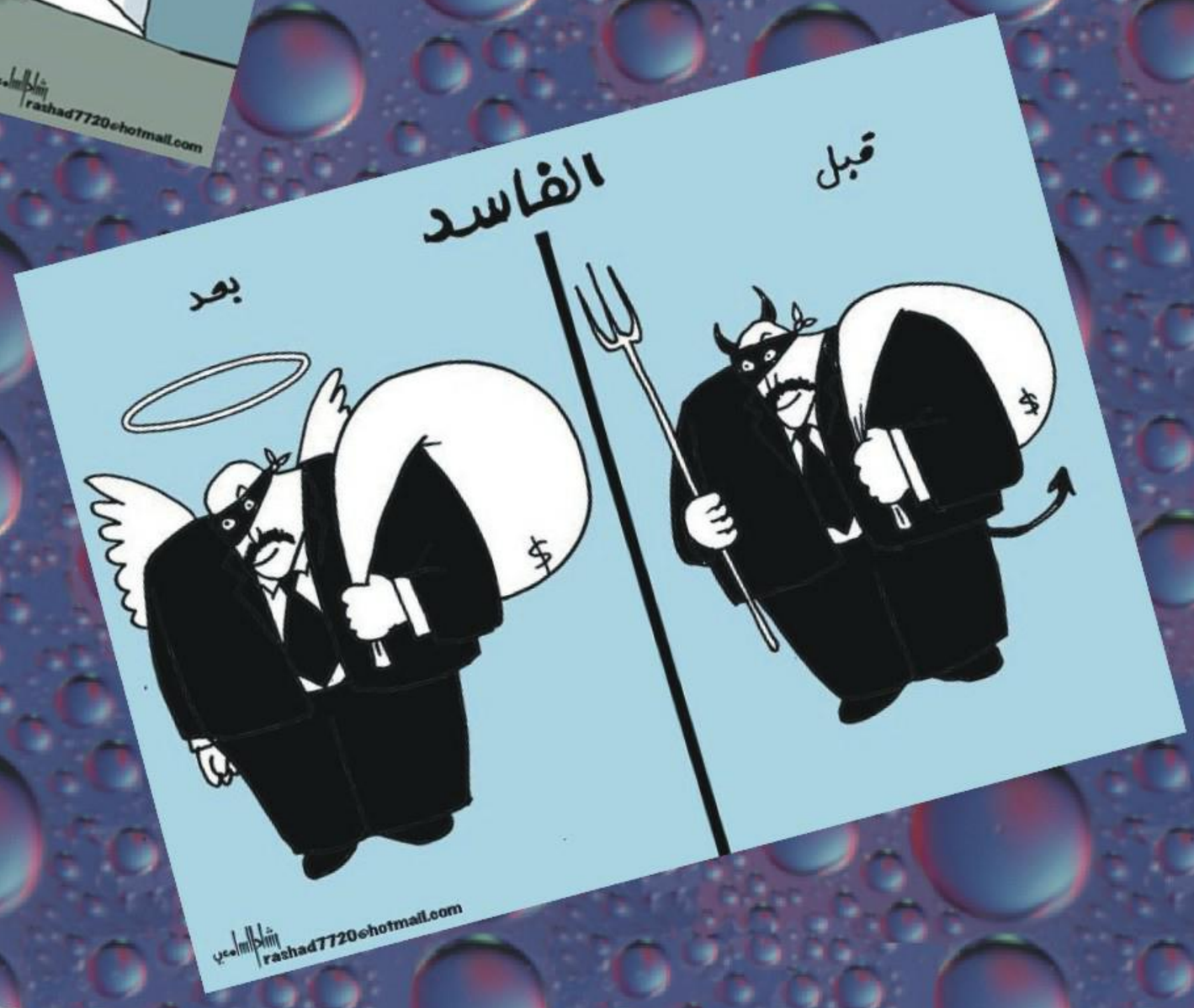

بريشة الفنان :

رشاد السامعي

ومضات

امتحان التّاريخ ....

ـ المعلّم: السّؤالُ الأوّلُ : عدِّدْ أسبابَ هزيمةِ العراقِ أمامَ المغولِ!
ـ الطّالب: لقدْ تركناهُ وحيدًا منذُ ألفِ عامٍ..

خليل حلاوجي

دوّامة

كَانَتْ جَمِيلَةً .. تَسْتَهوِي كلّ مَنْ رآها
وَتَسْحَرُ القُلُوبَ بِدَلاَلِ كَلِمٍ أَغْرَى الكَثِيرَ بِهَواها
الْتَفُّوا حَوْلَها ..
فَبَدأَتْ خُيُوطُها الّتي أَحْكَمَتْ نَسْجَها ذَاتَ أَيّامٍ
تَتَسَرّبُ رُوَيْدًا رُوَيدًا فَهَلْ يَنْقُضُونَ غَزْلَها ؟

لطيفة أسير

الأعورُ

رأيتُهُ بالعينِ المُجرّدةِ، مهيبًا في حاشيةٍ تكادُ تحجبُ عنهُ الهواءَ؛ رجلًا أعورَ يجرُّ خلفَهُ نهرًا من خبـزٍ ونهرًا من نفطٍ. دقّقتُ النّظرَ إليهِ فوجدتُهُ يلبسُ قبّعةً عاليةً ومعطفًا أسودَ مشقـوقًا من الخلفِ. كانَ يوزّعُ على أنصارِهِ رُزَمًا خضراءَ ،قدّرتُ أنّها تُشبهُ الدّولارَ.
فانتحيْتُ جانبًا، خشيةَ أن تدوسَني الأقدامُ، وما زلتُ أرقبُ المشهدَ حائرًا في أمري...

سعيد أبو نعسه

الزّمنُ والعَصا

خاطبَ أولادَهُ بصوتِهِ الأجشِّ العميقِ:
ـ عليكُم بالوحدةِ وعدمِ الفرقةِ ..
أشارَ بيدِهِ إلى ابنتِهِ الواقفةِ عندَ رأسِهِ ، فتحرّكتْ صوبَ حزمةِ عصيٍّ لِجلبِها ..
أعطتْ لكلِّ واحدٍ منهمْ عصًا .. فكسَروها ..
ـ هذهِ هي الفرقةُ يا أولادي ..
أعطتْ الكبيرَ حزمةَ العصيِّ مجتمعةً .. فكسرَها ..
تبادلَ الأبُ وابنتِهِ النّظَرات..
ـ يبدو أنّ زمانَ العصيِّ ولّى !

بهجت رشيد

مجلة الواحة الثقافية

تصدر عن

رابطة الواحة الثقافية

يمكنك التواصل مع الموقع والمشاركة في المجلة

عن طريق الرابط :

Http://www.rabitat-alwaha.net/moltaqa